جامعـــة الأزهـــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

"برهان النظام"

خصائصه، وأهم الشبهات المثارة حوله:

دراسة تحليلية نقدية

إعداد

د. سمر عبد الفتاح حسب الله

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ- ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

"برهان النظام"

خصائصه، وأهم الشبهات المثارة حوله: دراسة تحليلية نقدية

سمر عبد الفتاح حسب الله سيد أحمد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، مدينة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: samarabdelftah.18 @azhar. edu. eg

ملخص البحث:ـ

لا شك أن مسألة "الإيمان بالله والاستدلال على وجوده جل علاه" تُعدّ المرتكز الأساس في البحث العقدي، وقد عني المسلمون بتقديم الأدلة المتنوعة على وجوده تعالى، ومن أشهر هذه البراهين: ما يعرف بـ "برهان النظام "، الذى أخذ صورا متنوعة ومسميات جديدة وفقا للمتناولين له من متكلمين وفلاسفة وعلماء تجريبيين وعلى الرغم من أن هذا البرهان يوافق بدائه العقول، ويخاطب العوام والخواص إلا أن البعض قد أنكره أو تأوله وأثار إشكالات حوله استنادا إلى تأويلات فلسفية خاطئة أو فرضيات علمية لم تثبت صحتها معتقدا أنه أفقد الدليل حيويته ومكانته في باب الاستدلال على وجود الله تعالى، ومن ثم جاءت هذه الدراسة لبيان مدى قوة هذا البرهان في مواجهة التحديات العلمية والفلسفية استنادا إلى معطيات العلم الحديث التى تعزز الدليل وتبطل ما ادعاه الملحدون، مع عرض ومناقشة لأهم شبهاتهم.

الكلمات المفتاحية: برهان النظام– خصائص البرهان– الإتقان–الضبط الدقيق – التصميم الذكي– تعدد الأكوان.

"Order proof"
Its characteristics, and the most important suspicions raised about it: a critical analytical study

Samar Abdel Fattah Hasab Allah Sayed Ahmed
Department of Theology and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for females in Alexandria, Al-Azhar University, Alexandria City, Arab Republic of Egypt.
Email: samarabdelftah.18@azhar. edu. eg

Abstract:

There is no doubt that the question of "belief in God and the inference of his existence is all above Him" is the basis of the ideological research. Muslims have given a variety of proof of his existence. One of the most common proofs of them are: What is known as "Order proof", which has taken various forms, and new names according to the addressees: theologians, philosophers, and experimental scientists, and although this proof agrees with intuitive minds, and addresses the public and specific people, but some scholars have denied or contemplated it raising problems around it based on false philosophical interpretations or scientific hypotheses that have not been validated, believing that the evidence has lost its vitality and position to infer the existence of God. Thus, this study demonstrates the strength of this proof in addressing scientific and philosophical challenges based on modern science data that reinforces the evidence and invalidates what atheists claimed with a presentation and discussion of their most important suspicions.

Keywords: Order Proof - Proof characteristics - Mastery- Fine adjustment- Smart Design – Multiverse.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الكون فأبدعه، وأحكم صنعه فأتقنه، وجعل من التفكّر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته طريقًا إلى معرفته.

وأصـــلي وأســـلم على من بيّن هذا الطريق، وحثّ على التفكّر في آلاء الله ومخلوقاته، وعلى أل بيته الأطهار وصـــحبه الأخيار، الذين تدبروا وتفكروا آناء الليل وأطراف النهار، ومن تبعهم بإحسان إلى لقاء الواحد القهار.

وبعد،،

فإن مسـألة "الإيمان بالله والاسـتدلال على وجوده جل علاه" تُعدّ المرتكز الأسـاس في البحث العقدي، بل هي الركن الأول من أركان العقيدة الإسلامية التي أرسى مبادئها النبي صلى الله عليه وسلم، حينما سأله جبريل –عليه السلام–عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث**»(١).

وقد عني المسلمون بتقديم الأدلة المتنوعة على وجوده تعالى، فلا يكاد يخلو مؤلَّف من المؤلفات الكلامية من باب إثبات الصـانع –جل وعلا– أو الإشـارة إليه. ومن أكثر البراهين شيوعًا في هذا الباب: ما يسمى بـــــ "برهان النظام"، الذي لا يقف عند مجرد الاســـتدلال على وجوده تعالى، كما يرى البعض، بل يمكن توظيفه بصـــور عديدة للاستدلال على بعض صفاته؛ فالناظر في العالم المتقَن بما يحوى من مظاهر معقدة،

---

(١) الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم (٥٠) ج ١، ص ٥٠، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة.

وهي –في الوقت نفسه– متناسقة متناغمة، تعمل معًا في توافق لتؤدي وظيفة، وتسير نحو غاية؛ لَيشهد بأن وراءها فاعل مدبر حكيم.

ولا شك أن "برهان النظام" له طبيعة خاصة؛ لموافقته بداهة العقول، ومخاطبته العوام والخواص. بيد أن بعض المشككين ممن تملكتهم إرادة الإلحاد؛ حاولوا إثارة الشبهات حوله، مقدمين إشكالات حول المقدمات التي ينبني عليها، ظنها غير المختصين أدلة علمية تُفْقِد الدليل حيويته ومكانته في باب الاستدلال على وجود الله تعالى.

ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة تحت هذا العنوان: «"برهان النظام" خصائصه وأهم الشبهات المثارة حوله، دراسة تحليلية نقدية»؛ لتكشف اللثام عن أهم تلك الشبهات، وكيفية تفنيدها.

وقد أتت في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على:

أولا: أهمية البحث.

مما هو مسلّم به لدى الباحثين أن البحوث العلمية تستمد قيمتها من الموضوعات التي تعالجها، ولا شك أن مسألة الاستدلال على وجود الله، والتصدي للملحدين؛ من أشرف المسائل. وبناء عليه فإن هذا الموضوع يُعدّ من الموضوعات المهمة التي تناقش إشكالات أثارها المشككون حول أهم برهان من براهين وجود الله تعالى (من وجهة نظري). وهو موضوع متجدد؛ لأن البراهين التي تعتمد عليها مقدماته تتطور وفقًا لنتائج ومستجدات العلم الحديث، كما أنه يعالج أهم الإشكالات التي تبنى أصحابها فرضيات علمية، وعرضوها على أنها قوانين مسلّمة، ونتائج علمية مقبولة، ومن ثم فقد بنوا عليها اعتراضاتهم على هذا البرهان.

ثانيًا: أسباب اختياره.

لقد اخترت هذا الموضوع لجملة من الأسباب، بعضها ذاتي، وبعضها موضوعي، وبيانها على النحو التالي:

١- الرغبة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والذبّ عنها بعد تقريرها؛ من حيث إن ذلك واجب شرعي، ونحن مستخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم في القيام به.

٢- النشاط المتزايد للملحدين والمغرضين، على اختلاف توجهاتهم، وكثرة مؤلفاتهم، ما بين كتب وبحوث ومقالات؛ تتناول التشكيك في وجود الله -جل علاه- وهذا يتطلب التنبّه إلى ما يقذف نحو مسامعنا، أو يتسلل إلى عقولنا.

٣- ادعاء المشككين أنهم يلتزمون نتائج العلوم التجريبية التي تُبطِل البرهان وتُقوّض أركانه.

٤- خطورة هذه الادعاءات، وتسارع تناقلها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتنوع النوافذ التي تعنى بنشرها.

٥- الرد على اتهام علم الكلام الإسلامي بالجمود الفكري، وعدم مواكبته العصر؛ بإبراز دور علماء الكلام المسلمين في بيان أهمية الدليل، والرد على المشككين، وربطها بمستجدات العلم الحديث.

ثالثا: إشكالية البحث.

يحاول البحث الإجابة عن سؤال رئيس، هو: ما مدى قوة "برهان النظام" باعتباره دليلًا على وجود الله -سبحانه وتعالى- في مواجهة التحديات العلمية والفلسفية، وما يثيره الملحدون من إشكالات؟

ويتفرع هذا السؤال إلى أسئلة عدة، منها:

ما مفهوم النظام؟ وما الشواهد العلمية والفلسفية على قوته؟ وما أهم الإشكالات التي تثار حوله؟ وكيف يمكن تفنيدها؟

رابعًا: أهداف البحث.

يهدف البحث إلى تحليل "برهان النظام"، وعرض أهم الخصـائص التي يمتاز بها؛ في محاولـة لتعزيز اليقين بقضـــايا العقيدة. كما يهدف إلى بيان أهم نتائج العلوم التجريبية التي يمكن الاستناد إليها والاستفادة منها في تعزيز مقدماته، ودفع إشكالات الملحدين حولها؛ عن طريق عرض تطبيقي لأبرز شبهاتهم، وكيفية تفكيكها، مع التأكيد على أنهم نابتة ليســت قوية من الناحية المعرفية. كما يهدف إلى بيان خطأ ما اعتمدوا عليه من فرضيات –ظنوها أدلة يقينية– عن طريق النقد الذاتي لما اعتمدوا عليه.

خامسًا: منهج البحث.

لما كان هذا البحث يتناول "برهان النظام" من ناحية بيان خصـــائصـــه، وعرض الإشكالات المثارة حوله، وتفنيدها؛ فقد اعتمدت على منهجَي: التحليل والنقد.

١- المنهج التحليلي: وقد بدا واضـــحًا عند عرض آراء المؤمنين المســـتدلين ببرهان النظام، المؤكدين لدوره الفعّال في إثبات وجود الله تعالى، كما بدا واضـــحًا عند عرض آراء المخالفين المنكرين لما يســـمى بـــــ "النظام"، أو المتأولين له جملة وتفصيلًا، ثم تحليلها، ومحاولة تبسيطها.

٢- المنهج النقدي: ويقوم على النظرة الموضـوعية لما ذكره المنكرون، فإذا اتضـح لي أن شـيئًا مما ذكروه مقبول؛ نوّهت إليه، أما ما كان مرفوضًـا مخالفًا لمنطق العقل السليم والعلم الحديث؛ فقد عقّبت عليه.

خامسًا: مكونات البحث.

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وإشكالاته، وأهدافه، ومنهجه، ومكونات الدراسة.

المبحث الأول: تقرير الدليل وأهم خصائصه.

المبحث الثاني: المقدمة الأولى "دلائلها، وأهم الشبهات المثارة حولها".

المبحث الثالث: المقدمة الثانية "دلائلها وأهم الشبهات المثارة حولها".

الخاتمة: وتتضمن: أهم النتائج.

ثم ثبت المراجع، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: تقرير الدليل وأهم خصائصه

إن دليل "النظام" أُخذ من صـــور متعددة، كما أُطلقت عليه أســـماء متنوعة، وفقًا للمتناولين له من: فلاسفة، ومتكلمين، وعلماء تجريبيين.

وقبل تقريره، وبيان الأســـماء التي أطلقت عليه؛ أرى أن من الأهمية بمكان بيان مفهوم "النظام"، وما يتضـح من عرض مادة الكلمة، وما تتضـمنه من معانٍ في معاجم اللغة العربية. وهو ما أتناوله على النحو التالي:

أولا: مفهوم "النظام".

أ- **في اللغة:** تدور مادة الكلمة (ن ظ م) في معاجم اللغة حول عدة معان، منها: التأليف، والإقامة، والترتيب، والاتساق، والاستقامة(١).

ومن جملة هذه المعاني اللغوية يمكنني الجمع بينها في تعريف "النظام" لغة بأنه: وصـف لشـيء تم تأليفه وإقامته على صـورة مرتبة، تبدو فيها الاسـتقامة والاتسـاق، وتتضح فيها الغائية والهدف.

(١) يراجع للعلامة أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٤٤٣، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٤٣٩هـ/١٩٧٩م. وللعلامة ابن منظور: لسان العرب، فصل (النون) ج ١٢، ص ٥٧٨ – ٥٧٩، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ. وللعلامة محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣٣، ص ٤٩٦، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الهداية.

ب- في الاصطلاح.

يُعرّف "النظام" بأنه: «الترابط والتعاون بين أجزاء مجموعة واحدة؛ لتحقيق هدف معين، بحيث يكون كل جزء من هذه المجموعة مكملًا لها، وبحيث يكون فقدان أي جزء منها موجب لأن تفقد المجموعة الأثر المترتب عليها والهدف المتوخى منها»(١).

وبناء عليه فلا بد من توافر شروط لتحقيق هذا المفهوم، بيّنها النص السابق، هي:

أ- وجود مجموعة من الأجزاء أوالأفراد.

ب- العمل معًا في تناسق.

ج- أداء وظيفة معينة للكشف عن غاية وهدف.

وإلى هذا المعنى أشار "مايكل بيهى"(٢) في حديثه عن حجة التصميم؛ حيث بيّن أن التصميم مفهوم عقلي، يمكن استنتاجه عند رؤية عدد من العناصر التي تتجمع معًا، وتعمل في منظومة؛ لتحقيق وظيفة يمكن التعرف عليها، حيث إن التصميم - بصورته المختصرة- ترتيب للأجزاء، له غاية محددة، كما أكد أن الأجزاء كلما كانت

---

(١) الأستاذ جعفر الهادي: الله خالق الكون، دراسة علمية حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق، ص ١٥٧، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة سيد الشهداء العلمية -إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

(٢) مايكل بيهى: عالم أمريكي، من علماء الكيمياء الحيوية، ولد عام ١٩٥٢م، يشغل منصب أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة (ليهاي) في (بنسلفانيا)، أحد أهم مناصري نظرية "التصميم الذكي"، عرف بسبب حجته عن التعقيد غير القابل للاختزال، من مؤلفاته: صندوق داروين الأسود، وحافة التطور، شارك في عدد من المؤلفات، منها: إعادة المحاكمة (القصة الخفية لقضية دوفر).
يراجع: /ar. wikipedia .org/wiki ويراجع لمايكل بيهي، وليم ديميكسي، ستيفن ماير: كتاب العلم ودليل التصميم في الكون، ص: ١٥، ترجمة: رضا زيدان، مكتبة مؤمن قريش بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

أكثر وظيفة، وكلما كانت الوظيفة أعقد؛ يكون استنتاج التصميم أقوى، وثقتنا فيه أكبر لدرجة مقاربة لليقين(١).

ولا يغيب عن ذي بال أن مفهوم "النظام" مفهوم عقلي، يدرَك بناء على العلاقات بين مكونات النظام، ومن ثم فإن العقل يدركه بعد تأمل وتحليل؛ فالنظام –في نفسه– لا ماهية له، بل هو وصف لأشياء موجودة في الخارج، ومن هنا يمكننا الحكم على النظام بأنه معقول فلسفي ثانٍ.(٢)

---

(١) يراجع مايكل بيهي: صندوق داروين الأسود (تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور)، ص: ٢٢٧ – ٢٣٣، ترجمة: د. مؤمن الحسن، د. أسامة إبراهيم، د. زيد الهبري وآخرين، مراجعة: د. محمد يحيى، د. عبد الله الشهري، دار الكتاب –مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

(٢) تنقسم المعقولات إلى:

«المعقولات الأولى: وهي ما يكون بإزائه موجود في الخارج، كطبيعة الحيوان والإنسان، فإنهما يحملان على الموجود الخارجي، كقولنا: زيد إنسان، والفرس حيوان.

المعقولات الثانية: ما لا يكون بإزائه شيء في الخارج، كالنوع والجنس والفصل، فإنها لا تحمل على شيء من الموجودات الخارجية». [العلامة الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص: ٢٢١، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، دا رالكتب العلمية –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م]. والمعقولات الثانية عند أهل التحقيق هى موضوع علم المنطق، لا من حيث هى معقولات ثانية فإن ذلك يتعلق بالفلسفة الأولى ولكن البحث فيها من حيث إنها توصل لغيرها، [يراجع لنصير الدين الطوسى: شرحه على الإشارات والتنبيهات لابن سينا القسم الأول ص١٣٠تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دارالمعارف بالقاهرة طبعة ثالثة]. كما أن المعقولات الثانية منها ماهوفلسفى ويدخل فيه مفهوم النظام الذى أنا بصدد دراسته، وتعرف بأنها" ما كان الاتصاف فى الخارج وعروضها فى الذهن". [ملا هادى السبزوارى: شرح المنظومة قسم المنطق المسمى باللئالئ المنتظمة وشرحها ج١ ص٣٩. تعليق آية الله حسن حسن زادة الآملى مؤسسة حروقحينى بإيران].

ثانيًا: تقرير الدليل

يمكننا تقرير هذا الدليل بصور متعددة، أشهرها: ما يتكون من مقدمتين ونتيجة. أما المقدمتان فإحداهما صغرى، تصاغ بأنماط مختلفة، وفقًا للمتناول وطبقًا لتسمية الدليل، ولكنها –في مجمل الصياغات– تحمل معنى واحدًا، هو: الإقرار بوجود النظام في العالم المشاهَد: «هذا العالم منظّم»، والثانية هي المقدمة الكبرى، وتتمثل في أن كل منظَّم له منظِّم، وبيان ذلك على النحو التالي:

أ- <u>المقدمة الصغرى</u>.

تقوم –في جوهرها– على مشاهدة مظاهر العناية والتنظيم في هذا العالم، إما في كل ظاهرة منفردة، أو بالنظر إلى الظواهر المتعددة، واستكشاف العلاقات المنظِّمة لها، ولا شك أن المتكلمين المسلمين قد فصّلوا القول في هذا الجانب.

من هؤلاء: الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الذي أكد أن من تدبر في أحوال العالم الأعلى، والعالم الأسفل؛ ظهر له بناءه على الوجه الأصوب، والترتيب الأفضل، وبيّن أن صريح العقل يشهد بأن وقوع العالم على هذا النحو لا يكون إلا بتدبر حكيم عالم. ويؤكد العلامة الفخر الرازي أن هذا الطريق يدل على وجود الإله؛ حيث إن العجائب الكثيرة التي أودعها الله بدن الإنسان وروحه، وعجائب أحوال الحيوانات، وتفاصيلها، وعجائب أحوال النبات والمعادن، وتأثير بعضها في بعض، وجملة أحوال العالم التي لا يمكن حصرها من هذا النوع من الإبداع والتنظيم؛ بحر لا ساحل له(١).

ب- <u>المقدمة الكبرى</u>.

لا شك أن هذه المقدمة مقدمة عقلية، تقوم على أن الإحكام والإتقان اللذان يبدوان في مشاهدة مظاهر التنظيم؛ لابد له من محكِم منظِّم متقِن، ويمكن صياغتها في عبارة قصيرة مفادها: «كل منظَّم له منظِّم خارج عنه».

---

(١) يراجع للإمام الفخر الرازي: المطالب العالية من العلم الإلهي، ج ١، ص ٢١٦ – ٢٣٥. تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ومن الوهلة الأولى يلاحظ أن هذه المقدمة الكلية قائمة على قانون العِلّية على منوال: «كل حادث له محدِث»(١).

ومن هنا يمكن صياغة الدليل على هذا النحو: «العالم منظَّم، وكل منظَّم له منظِّم خارج عن ذاته؛ إذن: العالم له منظِّم خارج عنه».

كما يمكن صياغة هذا الدليل عن طريق السبر والتقسيم(٢) بحصر الاحتمالات واختبارها، واستبعاد الباطل منها وإبقاء الصحيح، فالكون متقَن ومنظَّم بالمشاهدة، واحتمال هذا الإتقان لا يخرج عن عدة احتمالات:

أ- أن يكون ناشئًا عن الحتمية القانونية.

ب- أن يكون ناشئًا عن الصدفة.

ج- أن يكون ناشئًا عن خالق مريد.

ثم تقام الأدلة على بطلان الاحتمالين: الأول والثاني، فلا يبقى إلا التسليم للاحتمال الثالث(٣).

ومما يسترعي الانتباه: أن المتكلمين المسلمين أبدعوا في استخدام هذه الطريقة بصور شتى، وكان الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) من أكثرهم استخدامًا لها؛ حيث ذكر أن «الترتيب العجيب في هذه الأفلاك، وائتلاف حركاتها: أترى أنها مبنية على حكمة أم هي واقعة بالجزاف والعبث؟ أما القسم الثاني فباطل وبعيد عن العقل، فإن

---

(١) سوف يأتي تفصيل ذلك في عرض المقدمة الثانية والإشكالات المثارة حولها.

(٢) يسمى بدليل "السبر والتقسيم" عند المتكلمين، ويسمى عند المناطقة ب "الشرطى المنفصل"، وقد سماه الإمام الغزالي بنمط التعاند. [يراجع للإمام الغزالي: محك النظر في المنطق، ص ٢٢٧، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان].

(٣) يراجع للشيخ عبد الله بن صالح العجيري: شموع النهار (إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي)، ص ١٧٥، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثالثة ١٤٣٩/٢٠١٨م.

جوّز في بناء رفيع وقصر مشيد أن التراب والماء انضم أحدهما إلى الآخر، ثم تولد منهما لَبِنات، ثم تركب منهما قصر مشيد وبناء عال؛ فإنه يقضى عليه بالجنون، ونحن نعلم أن كل تركيب هذه الأفلاك، وما فيها من الكواكب، وما لها من الحركات؛ ليس أقل من ذلك البناء؛ فثبت أنه لابد فيها من رعاية حكمة»(١).

لقد حصر الفخر الرازي المسألة في احتمالين، أحدهما: أن يكون الإتقان ناشئًا عن العبث والجزاف، والثاني: أن يكون ناشئًا عن منظِّم مبدع حكيم، وبإبطال الاحتمال الأول يتحتم الثاني.

وأنوّه إلى أن هذه الطريقة قد استخدمت بصياغات مختلفة، مع اعتماد نتائج وقوانين العلوم الحديثة، بالإشارة إلى جزئيات أشار إليها العلم الحديث، يمكن من خلالها إبطال القول بالصدفة.

ولعلّ من أشهر صيغ "برهان النظام" في العصر الحديث: ما يعرف بـ "الضبط الدقيق للكون"، ويقصد به: أن قوانين الكون مضبوطة ضبطًا دقيقًا لوجود الحياة، وباستخدام السبر والتقسيم لتفسير هذا الضبط؛ فهو إما أن يفسر بالضرورة المادية، أو الصدفة، أو الحكمة، وبإبطال الأول والثاني يتبقى الاحتمال الثالث، وهو كون تفسير الضبط الدقيق بالحكمة التي تدل على منظِّم مبدع متعالٍ عن المادة، وهو الله جل علاه(٢).

---

(١) العلامة الفخر الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٤، ص ١٦١، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٢) يراجع للدكتور سامي عامري: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، ص ٤٤٧–٤٤٨، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

كما أن هذا الدليل كان عمدة في المناظرات التي أجريت بين المؤمنين والملحدين في البيئة الغربية؛ فقد استخدمه "وليام لاين كريغ"(١) في مناظرته"بيتر ميليكان"(٢) حيث قال في تفسيره الضبط الدقيق للكون: «نحن نجد ثلاثة تفسيرات ممكنة للضبط الدقيق الاستثنائي هذا: أن الضبط الدقيق تسببه الضرورة المادية، أو الحظ، أو التصميم، ولا يمكن أن تسببه الضرورة المادية؛ وذلك لأن الثوابت والكميات لا تخضع لقوانين الطبيعة، لذا من المحتمل أن تكون نتيجة للحظ، ففي النهاية الكثير من الأمور غير المحتملة تحدث يوميًا، لكن ما يساعد في التمييز بين الأحداث التي تحصل بالحظ وتلك المخطط لها ليس اللاحتمالية فحسب، بل وجود نمط مستقل معطى، يتماشى مع الحدث... يعرض الضبط الدقيق للكون لإنشاء حياة ذكية، ذلك الدمج بين اللاحتمالية المبهمة والنمط المعطى اللذان يمثلان علامتي التصميم الفارقتين، بالتالي تمتلك سببًا وجيهًا للظن بأن لا يخضع للضبط الدقيق لا الضرورة المادية، ولا التغيير،

---

(١) فيلسوف لاهوتي مسيحي، ولد في ولاية "إلينوي" في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٩م، ويعد من أشهر علماء اللاهوت الدفاعيين المناظرين، تخرج في جامعة "ويتبرغ"، ثم حصل على الماجستير في علم اللاهوت من جامعة "تورنتو" بكندا، ثم حصل على الدكتوراة من جامعة "ميونيخ" بألمانيا، تميز بخبرة عالية في الفلسفة اللاهوتية، ويعد من أبرز الأسماء الغربية في مجال الدفاع عن الإيمان المسيحي، من مؤلفاته: حجة الإيمان الكونية، وجود الله وبداية الكون، الزمان والأبدية، استكشاف علاقة الله بالزمان، مستعدون للمجابهة، كيف تقدم إيمانك بعقل ودقة، كتاب الكفارة، وغيرها. [https://ar. in. wikipedia. org /wiki /idg].

(٢) ولد سنة ١٩٥٨م وهو أستاذ الفلسفة في كلية "هير تفورد" بجامعة "إكسفورد"، منذ عام٢٠٠٥م، عمل مدرسًا للفلسفة العامة والأخلاقية، والمنطق، وفلسفة الدين، كما حصل على البكارليوس في علوم الكمبيوتر، تدور معظم بحوثه حول فلسفة "ديفيد هيوم "رئيس قسم التعليم والتوعية، معهد الأخلاقيات في الذكاء الاصطناعي، له أعمال، منها: نظرية هيوم الأخلاقية، هيوم والنمطية. [يراجع: صفحة جامعة هيرتفورد على الإنترنت: www. hertford. ox. ac. uk كما يراجع الصفحة الشخصية لبيتر ميلكان: www. milli can. org].

ونستنتج من ذلك أن نخضع الضبط الدقيق للتصميم، إذن يستلزم الكون وجود مصمم»(١). ومن ثم فلهذا الدليل أهمية كبرى في المناظرات الدينية والجدل الفلسفي.

ثالثا: أهم خصائصه.

يتميز "برهان النظام" –عن غيره من البراهين– بكونه يجمع بين عدة أمور، منها:

١-<u>أنه برهان قرآني</u>.

أقصد بالبرهان القرآني أو الآيوي: أن آيات القرآن الكريم أشارت إليه؛ حيث دعا الحق سبحانه وتعالى الناس إلى التأمل والتفكر والنظر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر في الآفاق، وجعل من التأمل عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، بل جعل الله تعالى النظر عاملًا مشتملًا لكل مخلوقات الله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٢).

وقد أبان الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أن طريق النظر والتأمل في مخلوقات الله –جل شأنه– والتدبر في مصنوعاته، وفهم الحكمة في الأنواع التي أبدعها سبحانه؛ هو طريق اليقين، وهو المؤدي إلى الرسوخ في الدين؛ لذا كان هذا سببًا رئيسًا في تأليفه رسالته "الحكمة في مخلوقات الله عز وجل"، وقد سطر –رحمه الله– رسالته في أبواب التفكر، تناول فيها التفكر في خلق السماء، وأبان الحكمة من خلق الشمس، والكواكب،

(١) وليام لاين كريغ: مسألة وجود الله، مناظرة وليام لاين كريغ بيتر مليكان، أدار المناظرة: كارل شين، ترجمة: مريم شحوري، مراجعة: هيئة الترجمة والتحرير، مجلة الاستغراب، العدد ٧، ص ٣٠٠ – ٣٠١، عام ٢٠١٧م.

(٢) سورة: يونس، من الآية: ١٠١.

والقمر، والأرض، والبحار، والماء، والهواء، والنار، والإنسان؛ معتمدًا على آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى التأمل في كل جانب فيها(١)، بما يشهد بأن هذا أكبر برهان آيوي.

وقد دعا القرآن الكريم إلى النظر في الأنفس، والتأمل في جنباتها؛ حيث قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٢). ولعل الناظر في الأنفس يجد نظامًا بديعًا وتعقيدًا فريدًا في كل عضو من أعضاء الجسد، وهذا التعقيد يؤدي وظيفة معينة، بل إن أعضاء الجسم تعمل معًا في تكامل وتناغم؛ لتؤدي وظيفة واحدة، مما يشهد بوجود خالق مدبر لهذا الجسد.

أضف إلى ذلك: أن مراحل تطور خلق الإنسان في رحم أمه خير برهان على وجود خالق عالم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾(٣).

إن حديث القرآن الكريم –في هذه المراحل وتطورها– أصبح من أهم الدراسات التي تناولتها العلوم الطبية فيما بعد، كذا سبق علماء الإسلام غيرهم فى الحديث عن هذه الجوانب.

يقول الإمام الأشعري: «إن سأل سائل: ما الدليل على أن للخلق صانعًا صنعه، ومدبرًا دبره؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحمًا ودمًا وعظمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنا

---

(١) للوقوف على تفصيلات ذلك: يراجع للإمام الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ص ٥ – ٤٩. ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

(٢) سورة الذاريات، الآية:٢١.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات١٢ – ١٤.

نراه في حال كماله وقوته وتمام عقله؛ لا يقدر على أن يُحدث لنفسه سمعًا ولا بصرًا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة؛ فدل ما وصفناه على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلًا نقله من حال إلى حال، ودبره على ما هو عليه»(١).

فالإمام الأشعري استدل بتغير الأحوال، وانقلاب النطفة إلى علقة، ثم تحولها إلى مضغة، ثم إلى عظام ولحم، وخروج ذلك عن حول الإنسان وقوته؛ على وجود الحق جل علاه.

وقد استخدم علماء الإسلام دليل النظر في الأنفس بصور عدة، أبانت كل صورة عن جانب من جوانبها، فها هو الإمام السنوسي (ت ٨٥٩هـ) ينظم دليل النظر في النفس الإنسانية قائلًا: «كيفية النظم للاستدلال بالنفس أن نقول: أنا لم أكن ثم كنت، وأنا موجود بعد عدم، وأنا حادث، وكلها بمعنى واحد، وكل ما لم يكن ثم كان، أو كل موجود بعد عدم، أو كل حادث؛ فله موجِد أوجده؛ فينتج هذا البرهان: أنا لي موجِد أوجدني»(٢).

ومن المؤكد أن الإلمام بجميع الحكم والآيات في خلق الله تعالى أمر مستحيل، بل لايعلم خفاياها إلا هو سبحانه، وهو رزق وعطاء يعطيه من يشاء.

وقد أكد الإمام الغزالي على ذلك بقوله: «لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، وما وضع من الحِكم في مخلوق واحد من مخلوقاته؛ لعجزوا عن ذلك»(٣).

---

(١) الإمام أبو الحسن الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ١٧ – ١٨، تحقيق: حمودة غرابة، مطبعة مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

(٢) الإمام السنوسي: عمدة أهل التوفيق والتسديد، شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، ص ١٠٣، طبعة الحلبي الأولى ١٣٥٤هـ/١٩٢٦م، وعليها حواشي على شرح الكبرى للشيخ الحامدي.

(٣) الإمام الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي، ص ٥ – ٦.

وخلاصة القول: أن الله –جل شأنه–أوجب على الإنسان النظر في آيات الله المتمثلة في جميع الآفاق في الأرض والسماء وما فيهما، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(١). وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(٢). وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾(٣). وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التأمل والتدبر وإعمال العقل؛ للوقوف على مظاهر الإبداع والإتقان، ثم الإقرار بوجود عالِم مدبر خالق لهذا الكون.

٢–**صلاحيته لمخاطبة العوام والخواص.**

يصلح "برهان النظام" لمخاطبة العوام والخواص؛ لأن مقدمته الصغرى: "هذا العالم منظَّم" أو "هناك نظم في العالم" يمكن أن يلاحظها العامي بمطالعة الظواهر الكونية، يشهد لذلك قصة الأعرابي الذي سئل عن الدليل على أن للعالم صانعًا، فأجاب: «البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير، وهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة؛ أما يدلان على الصانع الخبير!»(٤).

وقد ألمح الشيخ نديم الجسر(٥) إلى أن من حكمة الله تعالى بعباده أن خاطبهم بالدليل الأيسر، الذي تدركه عقولهم، كما ألمح إلى أن هذا الدليل يستخدمه العامي

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ١٧.

(٢) سورة الطارق، الآية: ٧.

(٣) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٤) الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٢، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة الأستاذ: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٥) الشيخ عبد الله نديم بن حسين بن محمد الجسر، من علماء طرابلس، ولد لأسرة عرفت بالعلم والتدين، فجده الشيخ محمد، الملقب (أبو الأحوال) شيخ الطريقة الخلوتية، ووالده الشيخ حسين =

الساذج، ويغوص في جوانبه ومظاهره الفيلسوف والعالم؛ فيقول: «هذا الدليل يدركه العقل، ويرضاه بيسر وسهولة دون أن يحتاج إلى غوص في لجج الاستدلال، ومن غير أن يعتريه وهم أو عجز أو كلال، ويستوي في إدراكه -مبدئيًّا- البدوي الساذج والعالم والفيلسوف؛ لأن علام الغيوب سبحانه علم أن الذين يطيقون الانكباب على التعمق في الأدلة العقلية الفلسفية المركبة العويصة... هم القلة من العلماء، فقضت حكمته بأن يخاطب الناس كافة بالدليل الأيسر الأسهل الأوضح»(١).

وحيث إن هذه الطريقة من أكثر الطرق قربًا إلى الحس العام لدى البشر؛ فلا غرابة أن نجده عند المتكلمين، مصورين إياه بصور متعددة، تكاد المؤلفات الكلامية التي تناولت مسألة الاستدلال على وجود الله لا تخلو من الإشارة إليه جملة أو تفصيلًا.

كما أن هذا الدليل استخدمه العلماء في التخصصات المختلفة، حيث وجدت له شواهد كثيرة من العلوم التجريبية، فوظّفته وقرأته قراءات جديدة، تصدت لما يطرحه الملحدون من شبهات تتضمن القول بالصدفة أو العشوائية، على ما سوف يرد -إن شاء الله تعالى- في صفحات هذا البحث.

الجسر، صاحب كتابي: الرسالة المحمدية والحصون المحمدية. اشتهر الشيخ باسم "نديم الجسر"، درس في جامع "طينال"، وتولى قضاء طرابلس من عام ١٣٥٦هـ - ١٣٦٦هـ، انتخب في عام ١٣٧٥هـ نائبًا عن طرابلس في مجلس النواب اللبناني، ثم مفتيًا لبلده، أعاد إصدار جريدة طرابلس عام ١٣٥١هـ. له مؤلفات عدة، من أشهرها: كتاب قصة الإيمان، وشرح قانون العقوبات، الإسلام في العلم المعاصر، شبابنا بين الإيمان والتدين، وكان يوزع كتبه مجانًا. توفي سنة ١٤٠٠هـ. [يراجع لمحمد خير بن رمضان: تكملة معجم المؤلفين وفيات ١٣٩٧ - ١٤١٥هـ ص ٧٠٢. ولمزيد من التفصيل حول حياة الشيخ ومؤلفاته يراجع: مشروع إحياء التراث الوثائقي والثقافي لمدينة طرابلس https //tourath Tripoli. com].

(١) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ٢٨١، دار العربية -بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

ومن أشهر صوره: ما أقره علماء الفيزياء حينما واجهوا حقائق يقينية تؤكد أن هذا الكون قد نشأ بتصميم دقيق، فالثوابت الكونية ترتبط مع بعضها ارتباطًا وثيقًا بصورة تؤكد أن نشوء الحياة واستمرارها أمر أُعدّ بعناية فائقة، بل إن اشتراطات وجود الحياة على كوكب الأرض أمر جعل كثيرًا من علماء الفيزياء يُقرون بأن فرضية التصميم هي أكثر الفرضيات وضوحًا، وأقربها إلى منطق العقل(١).

أجل، إن الكون الذي نعيش فيه «مصمم بدقة، بحيث ينشئ غلافًا ضيقًا جدًا من الظروف الداعمة للحياة هنا على الأرض، وأي انحراف ضئيل –في أي من العوامل البيئية والفيزيائية– من شأنه أن يمنع وجودنا أصلًا»(٢).

٣-**<u>التجدد والصلاحية لكل زمان</u>**.

يعد هذا الدليل –من وجهة نظري على الأقل– صالحًا لكل زمان ومكان؛ نظرًا لتجدده بتجدد العلوم، فالانكشافات الجديدة في فروع العلوم تشهد بصدق المقدمة الصغرى، وتكشف عن مظاهر النظام والإحكام، ولا شك أن بعض أسرار الوجود تتكشف بتقدم العلوم وتكاملها، وفي كل تقدم يرفع اللثام عن أمور أكثر تعقيدًا، وفي تعقديها قمة إحكامها.

يقول الشيخ نديم الجسر: هذا الدليل «يزداد –على مر الأيام– وضوحًا، كلما تقدم العلم، وانكشف للعلماء أسرار النواميس الدالة على النظام»(٣). وقد أكد "جون وليام كولتس" –أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين

(١) يراجع لستيفن ماير: التدليل على التصميم في الفيزياء والأحياء من أصل الكون إلى أصل الحياة، ص ٦٥ – ٦٦. ضمن كتاب العلم دليل التصميم في الكون: مايكل بيهي، وليم ديميكسي، ستيفن ماير.

(٢) نورمان ل. جايسلر، فرانك تورك: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، ص ١١٨، ترجمة: ماريال كتكوت، تحرير عصام خليل، دار الإخوة للنشر بمصر، الطبعة العربية الأولى ٢٠١٧م.

(٣) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ٢٨١.

بكونكورديا- ما ذهب إليه الشيخ نديم الجسر بقوله: «لا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر الكون المعقد، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله، ومن إيماننا بوجوده»(١).

يقول الدكتور محمد باسل الطائي(٢): «إن الكشوفات العلمية التي حصلت خلال العقود الماضية لتؤكد دقة الصنع الإلهي ودقة تأليف أجزاء الكون بأصغر ما فيه وأكبر ما فيه... هذه الدقة العالية في قيمة أصغر الثوابت الكونية، وترابطها مع بعضها وفق هيكل شامل واحد؛ تؤكد أن هذا الكون لم يُخلق عبثًا»(٣).

لقد أدى نهوض العلم دورًا كبيرًا في توسيع مجال عجائب الطبيعة، فقد كشف العلماء عن هذا الترتيب من أعمق فجوات الذرة حتى أبعد المجرات،

(١) جون كلوتس: الله والكون المعقد، ص ٥٢، ضمن كتاب الله يتجلى في عصر العلم، ص ٥٢، تأليف: نخبة من الأساتذة الأمريكيين، بمناسبة السنة الأولى لطبيعيات الأرض، تحرير: جون كلومر موتسيما، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة: د. محمد جمال الفندي، دار العلم.

(٢) أستاذ علم الفيزياء، عراقي المولد والمنشأ، حصل على الدكتوراة من جامعة مانشستر ببريطانيا، وعمل في جامعة السليمانية بالعراق، ثم جامعة صلاح الدين في أربيل، وجامعة الموصل، ثم جامعة اليرموك في الأردن، له مؤلفات عدة، منها: خلق الكون بين العلم والإيمان، دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة، صيرورة الكون، الكون والعدم، الزمن في علم الكلام الإسلامي. لمزيد من التفاصيل يراجع: ar. wikipedia. org//org/wiki

(٣) محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان، ص: ١١٢، دار النفائس -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

وقد بدا التنظيم الدقيق واضحًا في الكون، مما جعل كثيرًا من العلماء يعزون هذا الترتيب الدقيق في الكون إلى أفعال إله غائية(١).

ولا شك أن الشواهد لهذه المقدمة تتفاوت في كل عصر، وفقًا لمستجدات علومه، فكلما توصل الإنسان إلى كشف ظواهر الوجود وقوانيه، ولاحظ العلاقات الدقيقة بين مكوناته؛ ازداد رسوخًا وإيمانًا بوجود الخالق، مما يدل على أن العلاقة بين قوانين العلوم التجريبية الثابتة(٢) والعقائد الإيمانية الصحيحة؛ علاقة انسجام وتوافق، لا علاقة تناقض أو تضاد، مما يبطل دعوى الاستغناء بالعلم عن الله، أو دعوى أن العلم يثبت بطلان الدين(٣).

٤- **العمومية في الاستدلال.**

أقصد بالعمومية هنا: أنه لا يختص به المتكلمون وحدهم، بل يشاركهم في الاستدلال

---

(١) يراجع لبول ديفيز: الدبير الإلهي: الأساس العلمي لعالم منطقي، ص: ٢١٧، ترجمة محمد الجوارا، مراجعة: د. جهاد ملحم، دار الحصاد –سوريا –دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(٢) هناك فارق بين القوانين العلمية الثابتة والفرضيات التي لم تثبت بعد، فربما تتعارض فرضيات علمية مع عقائد إيمانية ثابتة، وليس في هذا دليل على بطلان العقيدة؛ لأنها فرضيات لم تثبت بعد، بل ربما يقدم العلم التجريبى نفسه الدليل على بطلانها.

(٣) رفع بعض الجهال لواء التعارض بين العلم والدين، ولعل السبب في ذلك: أنهم جعلوا الأديان كلها على درجة واحدة، متناسين أن العلم الصحيح لا يناقض وحيا إلهيا، بل يعملان معًا لنفع الناس في الدنيا والآخرة، وبناء عليه: فلا تعارض بين قطيعات الدين الحق وثوابت العلوم التجريبية؛ لأن الدين الحق مصدره الله تعالى، والكون يسيره الحق سبحانه وتعالى وفقا لنواميس وضعها فيه؛ فيستحيل أن يقع التناقض بينهما؛ لاتصاف الله بالكمال المطلق في العلم والحكمة، بيد أن التناقض أو شبهة التعارض قد تقع ربما لسوء فهم الدين، أو لطبيعة العلم، مما يستدعي الحيطة والحذر في إصدار الأحكام.

به الفلاسفة[١] والعلماء التجريبيون[٢]، كما أقصد بالعمومية: أنه لم يستعمل في البيئة الإسلامية وحدها، بل شارك مفكري الإسلام –في الاستدلال به– فلاسفة العصور الوسطى؛ حيث استخدمه "توما الأكويني"[٣]، وجعله خامس الأدلة على وجود الله، كما استخدم في الفلسفة الحديثة بصور متنوعة.

وبناء عليه: اعتُمد هذا الدليل من قِبل جل المتكلمين والفلاسفة وعدد كبير من العلماء الطبيعيين، على ما سيتضح في صفحات البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) استدل به الكندي في رسائله، واستخدمه ابن سينا من خلال دعوته إلى التأمل في الآفاق والأنفس، كما استخدمه ابن طفيل حين عرض له من خلال تصفح (حي) للموجودات، وجعل من وجودها على هذا النحو دليلًا على وجود الخالق، وركز عليه ابن رشد الحفيد كثيرًا، وسماه بدليل العناية والاختراع. وللوقوف على تفصيلات الدليل عند هؤلاء يراجع للكندي: رسائل الكندي الفلسفية (رسالة الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، ص ٢١٤ – ٢١٥، تحقيق: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، وللشيخ الرئيس ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، ج ٣، ص ٥٤ – ٥٥. ويراجع لابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ١٥٠، تقديم: د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م. ويراجع للدكتور عبد الحليم محمود: فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، ص ١٢٣، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٤م.

(٢) أقصد بالعلماء التجريبيين هنا: العلماء الذين يسعون لاكتشاف قوانين الطبيعة عن طريق التجارب والملاحظات، واعتمادهم الأدلة المادية، وقد كشف هؤلاء عن جوانب ومظاهر كثيرة من الدقة والإتقان، لا يمكن أن يكون مصدرها الصدفة أو العشوائية، يستوي في ذلك ما قدمه علماء الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو أي فرع من الفروع المتخصصة في مثل هذه العلوم..

(٣) توما الأكويني: فيلسوف وعالم لاهوتي مسيحي، من أشهر فلاسفة العصور الوسطى، ولد سنة ١٢٢٥م بالقرب من "أكوين" في إقليم "نابولي"، تلقى تعليمه الأول في دير "سانت كاسينو"، وانضم إلى صفوف الدومينيكان، تعلم في جامعة باريس، ودرس في جامعة نابولي، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: الخلاصة اللاهوتية. تميز بشروحه لكتب أرسطو. توفي في طريقه إلى مجمع "ليون" سنة ١٢٧٤م. لمزيد من التفاصيل حول حياته وفلسفته يراجع للدكتور عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٤٢٦: ٤٣٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

المبحث الثانى: المقدمة الصغرى "دلائلها وأهم الشبهات المثارة حولها"

إن المقدمة الصغرى: "هذا العالم منظَّم"؛ تعتمد على مظاهر الإحكام والإتقان الموجودة في العالم (علويه وسفليه)، كما ترتكز على الترتيب والتقدير الموجود في ظواهره الكونية، بالإضافة إلى الروابط الوثيقة المعقدة بين مكوناته؛ حيث إن الناظر في العالم يراه قد رُكِّب بصورة منظّمة، فكل جزء من أجزائه يؤدي وظيفة معينة؛ ليظهر الكل في منظومة متكاملة، تتناغم فيما بينها لتسمح بوجود الحياة، وسوف أعرض نماذج وشهادات تبرهن على صدق هذه المقدمة، وذلك على النحو التالي:

أولا: دلائلها.

تنقسم شواهد هذه الأدلة إلى شواهد مباشرة تتجلى للحواس وتتمثل في النظر المباشر لأصناف الموجودات، وإلى شواهد علمية تجريبية تتبين للمختصين في العلوم الطبيعية، الذين أُدهشوا من مظاهر الدقة والإحكام الذي من المستحيل رده إلى الصدفة والإتقان.

ومن أبرز مظاهر النظام في هذا الكون: ما أثبته علماء الفيزياء الحديثة، وهو ما بات يُعرف بـ "برهان الضبط الدقيق"؛ فقد كشفت الفيزياء الكونية(١) عن وجود دقة متناهية في هذا الكون، كما كشفت عن وجود عدة شروط لابد من توافرها لقيام الحياة.

---

(١) علم الكون الفيزيائي: أحد فروع الفيزياء الفلكية، يهتم بدراسة البنية واسعة النطاق للفضاء الكوني، كما يهتم بالإجابة عن الأسئلة الأساسية التي تخص الكون ووجوده وتَشكُّله وتطوره، كما يتدخل بدراسة حركات الأحسام النجمية والمسبب الأول. [علي مولا: موسوعة الفيزياء الكونية الفضائية، ص ١٠٥].

يقول "بول ديفيز"(١): «لو أن أيةخاصية أساسية للكون من خصائص الذرات إلى توزع المجرات اختلف؛ لكان من المحتمل جدًا أن تصبح الحياة مستحيلة، الآن يبدو أنه لتلبية تلك المتطلبات المختلفة يجب تحقيق بعض الشروط الصارمة في قوانين الفيزياء الرئيسة التي تنظم الكون، وهي قوانين صارمة جدًا، بحيث يبدو الكون الصديق للحياة مختلفًا»(٢).

ولعل المطالع للدراسات والكتابات الحديثة يتضح له –بما لا يدع مجالًا للشك– أن أمر الضبط الدقيق للكون بات من المسلمات لدى العلماء المعتبرين، ولا يعتبر أي تفسير علمي مأخوذ به ما لم يراع في الاعتبار مظهر التصميم الدقيق المتقن، بصرف النظر عن اتجاهات تفسيره، يشهد لذلك قول بول ديفيز: «لا يعتبر أي تفسير علمي للكون كاملًا ما لم يأخذ باعتباره هذا المظهر من التصميم المحكم»(٣).

وقد أبان علماء الفيزياء عن هذا الضبط المحكم بالحديث عن مظاهره المتنوعية، والتي سوف أعرض جانبًا منها، يتمثل في:

---

(١) أستاذ ومدير مركز المفاهيم الأساسية للعلوم، تقلد مناصب جامعية في عدد من الجامعات، منها: كمبردج، وسيدني، ولندن. قبل أن ينضم إلى جامعة أريزونا، وهو عالم فيزياء بريطاني مهتم بالفيزياء الكونية وعلم الفلك البيولوجي، حصل على عدد من الجوائز القيمة، منها: جائزة "ميدالية كلفن" عام ٢٠٠١م، وجائزة "فاراداي" عام ٢٠٠٢م، وجائزة "تمبلتون" عام ١٩٩٥م، له ما يزيد عن ٢٥ كتابًا في أصل الحياة. [يراجع لبول ديفيز، ونيلز هنريك جريجرسن: المعلومات وطبيعة الواقع من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ص ٧، ترجمة: سارة ياقوت، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، طبعة عام ٢٠٢٣م].

(٢) بول ديفيز: الجائزة الكونية الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة. ترجمة: د. سعد الدين خرفان، ص ١٥، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب –دمشق، طبعة ٢٠١١م.

(٣) بول ديفيز: المرجع السابق، ص: ١٥.

١-<u>الضبط الدقيق لظروف نشأة الكون</u>.

إن نظرية الانفجار العظيم (**Big Bang**)(١) التي فسر بها العلماء نشأة الكون تشهد بأن هذا الانفجار صاحبته دقة بالغة، تتمثل في:

أ- <u>معدل التوسع الكوني</u>.

لقد أثبت العلماء أن معدل توسع الكون بُعيد الانفجار والنشأة الأولى كان محكمًا بدقة عالية، وأن هذه السرعة الحرجة للتوسع لو كانت أبطأ من قيمتها بمقدار ضئيل جدًا لانهار الكون قبل أن يوجد، ولو كانت أسرع قليلًا لتناثرت مادته، وبناء عليه: فإن الزيادة أو النقصان في مقدار سرعة التمدد ينتج عدم نشوء الكون، وقد أشار إلى ذلك ستيفن هوكينج(٢)، حيث ذكر أنه «لو كان معدل التمدد بعد ثانية واحدة من الانفجار الكبير

---

(١) "أشهر النظريات السائدة لتفسير نشأة الكون، والتي ترى أن الكون -قبل ١٨ مليار سنة تقريبًا- كان سحابة بدائية من المادة الأولية تسمى "البيضة الكونية"، أي: أن المادة المعروفة حاليًا، والتي تتألف من الذرات لم تكن قد نشأت بعد، وإنما كانت تتكون من جسيمات أولية، مثل: البيزوتونات والإلكترونات والنيوترينو، ثم حدث انفجار هائل في البيضة الكونية أدى إلى تشتت المادة في الفضاء، أي في كل مكان في الفضاء -ولم يكن الانفجار قد بدأ من مركز معين ثم انتشر كما يحدث على الأرض- ثم أخذت درجة الحرارة تقل بسرعة، وأخذت الجسيمات الأولية تتحرر وتلتحم مع بعضها لتشكل الذرات، وكانت ذرة الهيدروجين أول من تشكلت لتكون النجوم والمجرات فيما بعد، ومن الهيدروجين المحترق في النجوم تشكل الهيليوم." [د. عماد مجاهد: معجم علوم الفضاء والفلك، ص ٣٠، مكتبة غريب طوس الإلكترونية، ويراجع لمجموعة من العلماء معجم مصطلحات الفيزياء، ص ٥١، مجمع اللغة العربية بدمشق -سوريا ١٤٦٣هـ/٢٠١٥م].

(٢) من أشهر علماء الفيزياء النظرية والعلوم الكونية، درس في جامعة أكسفورد، وحصل على الدكتوراة من جامعة كامبردج، أصيب بمرض عصبي لا علاج له، أفقده القدرة على الحركة، لكنه تحدى الظروف الصعبة وتفوق في مجال علوم الفيزياء، وحصل على الكثير من الجوائز والأوسمة، له مؤلفات كثيرة، منها: تاريخ موجز للزمن، الثقوب السوداء، والتصميم العظيم. توفي في إنجلترا عام =

أصغر حتى بجزء واحد من مائة ألف مليون مليون؛ لكان الكون قد تقلص ثانية قبل أن يصل إلى حجمه الحالي»(١).

وقد ذكر "بول ديفيز" هذه الدقة المتناهية لتمدد الكون لحظة الانفجار العظيم، مبينًا ما إذا كان سوف يحدث إذا لم تنضبط بهذه الصورة قائلًا: «فإن انفجارًا أكبر كان سيوزع الغازات الكونية بسرعة كبيرة، بحيث لا تستطيع التجمع في مجرات، وبالمقابل: لو كان الانفجار الكبير أصغر لانهار الكون على نفسه قبل أن تبدأ الحياة، لقد اختار كوننا حلًّا وسطًا موفقًا، فهو يتمدد ببطء كاف؛ ليسمح للمجرات والنجوم والكواكب أن تتشكل، ولكن ليس ببطء كبير بحيث يخاطر بانهيار سريع»(٢).

وبناء عليه: فإن الخطوة الأولى لعملية الانفجار الكبير ونشأة الكون: معدل التوسع الكوني – ضبطت بدقة وعناية بالغة.

ب- <u>دقة أعداد الجسيمات وكتلها وشحناتها وتفاعلها</u>.

إذا كان الكون قد ضبط فيه معدل توسعه فإن الضبط الدقيق يتجلى واضحًا – كذلك– في أعداد الجسيمات الموجودة في الدقائق الأولى من الانفجار العظيم، حيث ضبطت بعناية فائقة، فلو حدث زيادة أو نقص في أعدادها عن الحد المضبوط لاستحال نشوء الكون.

٢٠١٨م عن عمر ناهز ٧٦ عامًا. لمزيد من التفصيل حول حياة ستيفن هوكينج يراجع لستيفن هوكينج: موجز تأريخ حياتي (سيرة ذاتية)، ترجمة وتقديم: لطيفة الديلمي، مع تقديم خاص للدكتور. ريمون نجيب شكوري، أشور بانيبال للثقافة، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.

(١) ستيفن هوكينج: تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٠٥، دار التنوير للطباعة والنشر –بيروت –لبنان، الطبعة الأ,لى ٢٠١٦م.

(٢) بول ديفيز: الجائزة الكونية الكبرى، ص: ٧٩.

لقد تكونت الجسيمات الأولية –كالبروتونات(١)، والنيترونات(٢)، والإلكترونات(٣)، ومضاداتها في زمن مبكر يصل إلى حدود جزء من عشرة آلاف جزء من الثانية الأولى لخلق الكون(٤).

وسوف أطرح مثالًا واحدًا لكيفية تجمع الإلكترونات والبوزيترونات(٥) أوضح خلاله الدقة والضبط المتناهيين لنشأة الكون، حيث إن وجود أعداد محددة من الإلكترونات والبوزيترونات بدقة عالية يتجمعان معًا لإنتاج الطاقة؛ يشهد بأن هناك ضبطًا دقيقًا أسفر عن وجود الحياة.

ومما هو معلوم لدى علماء الفيزياء أن أعداد الإلكترونات لابد أن تكون أكبر من أعداد البوزيترونات، فلو اجتمعت عشر وحدات من الإلكترونات مع ثمانية من البوزيترونات فسوف تتفاعل ثمانية من الإلكترونات مع ثمانية من البوزيترونات، وتنبع طاقة ينتج عنها تحرر الإلكترونيين المتبقيين.

---

(١) البروتون: "جسيم أولي في النواة، موجب الشحنة، كتلته تساوي ١٠٦٧٥×١٠$^{-٢٧}$ كلغم وشحنته تساوي تضاهي شحنة الإلكترون، وقيمتها ١٠٦×١٠$^{-١٩}$كولوم." [ميرفانا ياسر سلامة: معجم الفيزياء "التعريفات العلمية" ص ٢٠٩، الجامعة الأردنية، دار صفاء –عمان، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م].

(٢) النيوترون: "جسيم في الذرة، ليس له شحنة، وكتلته قريبة من كتلة البروتون." [عماد مجاهد: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، ص ١٣٢مكتبة غريب طوسن الإلكترونية].

(٣) "جسم أولي، ذو شحنة سالبة تساوي ١٠٦× ١٠$^{-١٩}$كولوم، وكتلته تساوي ٩٠١× ١٠$^{-٣١}$كيلوغرام." [ميرفانا ياسر: معجم الفيزياء، ص ٨٥].

(٤) يراجع للدكتور محمد باسل الطائي: صيرورة الكون (مدارج العلم ومعارج الإيمان) ص ٢٠٣، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، طبعة ٢٠١٠م وقد شرح كيفية تكون هذه الجسيمات شرحًا تفصيليًا ص ١٩٣ – ١٩٨، ويراجع له أيضا: خلق الكون بين العلم والإيمان، ص ٨٨ – ٩٦.

(٥) البوزيترون: الجسم المضاد للإلكترون. [ميرفانا ياسر: معجم الفيزياء، ص ٢٠٣].

وهذا أمر لازم لنشأة الكون؛ حيث إن الإلكترونات أحد الجسيمات المكونة للذرة، والتي تعد –بدورها– وحدة بناء الكون، فلو فرض أن عدد البوزيترونات كان أكبر من عدد الإلكترونات لأصبحت البيزوترونات أعدادها أكبر في الكون نتيجة الطاقة المحررة، وما ظهر الكون إلى الوجود، ولو تساوت أعداد الإلكترونات مع البزوترونات فلن ينبع شيء غير الطاقة؛ وذلك لأن الإلكترونات المحررة رتبت بطريقة تضاهي أعداد البروتونات مع الإلكترونات في الذرة(١).

ولا شك أن هذا الدور الحاسم الذي يقوم به التفاعل بين هذه الجسيمات يجعل الكون لو كان في الدقائق الأولى القليلة مؤلفًا حقًّا من أعداد متساوية تمامًا من الجسيمات والجسيمات المضادة؛ لكانت كل كأعداد الجسيمات قد دُمرت؛ نتيجة انخفاض درجة الحرارة إلى أقل من ١.٠٠٠مليون درجة، وما تبقى غير الإشعاع.

كما أن مظاهر الضبط والإتقان تتجلى واضحة في كتلة الجسيمات؛ حيث أكد العلماء أن كتلة البروتون والنيوترون تكاد تكون متقاربة، بينما كتلة الإلكترون أخف بكثير منهما، وقد قُدّرت بحوالي ألف وثمانمائة مرة من البروتون. وكما أكدوا أن كتلة النيوترون أثقل من البروتون بمقدار ١.٠٠١٣٧٨٤١٨٧٠ مرة، وهو ما يسمح له بالاضمحلال إلى بروتون وإلكترون ونيوترينو(٢)، مؤكدين أن هذه العملية هي التي حددت وفرة نسبة الهيدروجين والهيليوم بعد الانفجار الكبير، فلو كانت كتلة النيوترون إلى البروتيون مختلفة

(١) يراجع لمصطفى نصر قديح: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، ص ٢٤٠، مركز دلائل بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ

(٢) "جسم لا شحنة له ولا كتلة، لذلك فهو قادر على اختراق المجرات والكواكب بسهولة، وتطلق النجوم المتفجرة كمية كبيرة من النيوتربونات. [عماد مجاهد: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، ص ١٣٢. ويراجع لمصطفى نصر قديح: الصنعة المتقنة، دلالات الفيزياء على وجود الخالق، ص ٢٨٧ – ٢٨٨].

قليلًا؛ لتغير العالم وكثر الهليوم واحترقت النجوم بسرعة كبيرة جدًا، أو ربما تنتج كونًا بلا ذرات(١).

يضاف إلى ما سبق: أن أي تغير في نسبة كتلة البروتون إلى الإلكترون، والتي قدرها العلماء بحوالي ١٨٣٦٠١٥٢٦ مرة من كتلة الإلكترون يؤدي إلى تأثر استمرار العديد من المواد الكيميائية الشائعة، والتي يمنع بدوره تشكيل هذه الجزئيات، مثل الحمض النووي، واللبنات الأساسية للحياة.

وبناء عليه: فتحديد نسبة هذه الكتل يسمح بتكوين المواد الكيميائية واستقرارها، ومن ثم تكوين الجزئيات المعقدة والروابط الكيميائية(٢).

وسوف أقتصر على هذه الأمثلة التي أوضحت جانبًا من مظاهر الضبط الدقيق، الممثل لظروف نشأة الكون، والتي جعلت "روجر بنروز"(3) يؤكد« حقيقة أن الكون يبدو أنه قد بدأ في حالة النظام العالي جدًا أو العشوائية المنخفضة هذا مايظن أنه متصل –بشكل وثيق– بخصائص الديناميكية الحرارية للكون، بل من الممكن أن يكون متصلًا بطبيعة الزمن، ويقدّر احتمالية حدوث هذا بالصدفة هو واحد من عشرة مرفوع

(١) يراجع لمصطفى قديح: الصنع المتقن، دلالات الفيزياء على وجود الخالق، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٩.
(٣) أستاذ الرياضيات في جامعة أكسفورد، بلقب "روزبول"، حائز على عدد من الجوائز والمكافآت، بما في ذلك جائزة "ولف" لعام ١٩٨٨م، والذي تقاسمها مع "ستيفن هوكينج"، قال عنه مارتن غاردنر: إنه من أحسن رجالات العالم اطلاعًا وإبداعًا في الفيزياء والرياضيات. [روجر بنروز: العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء، ص ٧ – ١١، تصدير: مارتن غارونر، ترجمة: محمد وائل الأتاسي ود. وسام المعصراني، مراجعة: د. محمد المرياني، دار طلائع للدراسات والترجمة والنشر –دمشق، الطبعة السادسة ١٩٩٨م.].

بقوة ١٠^١٢٣»[1]، كما أنه أكد على النظام البديع الموجود في العالم منذ بداية نشأته قائلًا: «كلما توغلنا في الماضي إلى أبعد ما نستطيع، وتأملنا في أوسع ما يمكننا من الكون؛ بدا الانتظام بصورة أكثر جلاء».[2]

وبعد أن بينت المظهر الأول من مظاهر الضبط الدقيق في الكون سوف أنتقل للحديث عن المظهر الثاني، تحت العنوان التالي:

٢-ضوابط قوانين الطبيعة وثوابتها الكونية:

أبان العلماء أن مختلف الظواهر الطبيعية تسيطر عليها أربع قوى أساسية، عرفت بقوى الطبيعة، وهي: قوة الجاذبية، والكهرومغناطسية، والقوى النووية القوية والضعيفة[٣].

أ- قوة الجاذبية:

يرى المختصون أن قوة الجاذبية أضعف القوى الأربعة؛ حيث إنها من ضعفها لم تكن لتلاحظ لولا تميزها بخاصيتين، الأولى: أنها لا تستطيع العمل عبر مسافات شاسعة، والثانية: أنها تجذب دائمًا، بمعنى أن كل جسم يحس بقوتها حسب كتلته وطاقته[٤]، فهي التي تربط أجزاء الكون بعضه ببعض؛ ولهذه القوة -رغم أنها أضعف القوى الأربعة- دور كبير؛ فإليها تعود السيطرة على حركة المجرات وتنظيم العلاقات بينها في الفضاء، الخارجي عبر مسافات ضوئية شاسعة، فالجاذبية لا يفلت من قبضتها شيء في الكون، إن ثابت الجاذبية له دور مهم في نشأة الكون، فلو كانت الجاذبية أضعف مما هي عليه، ولو بقدر ضئيل؛ لتشتت المادة بعد الانفجار الكبير، ولَما تجمعت في مجرات ونجوم

---

(١) جون بولكينتهورن: المبدأ الإنساني وجدل العلم والدين، ص ٨٢ - ٨٣، ترجمة: حسن البلوشي، مجلة الاستغراب، المجلد ٤، العدد ١٣، لعام ٢٠١٨م.

(٢) روجر بنروز: العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء، ص ٣٩٠.

(٣) يراجع لبول ديفيز: عالم الصدفة، ص ٢٥، ترجمة: فؤاد الكاظمي، مراجعة: د. خالد ناجي، سلسة المائة كتاب، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشئون الثقافية ببغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٤) يراجع لستيفن هوكينج: تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ص ١٢٦.

وكواكب، والعكس صحيح؛ إذ لو كانت أقوى بمقدار ضئيل ما تمددت المادة، ولترتب عليه بقاؤها في موضع محصور بالغ الكثافة، ومن ثم لم توجد الحياة(١).

ب- القوة الكهرومغناطيسية:

تعمل هذه القوة بين الجسيمات التي تحتوي على شحنة كهربية، وبناء عليه: تعرف بقوة الجذب أو التنافر، وتأثيرها الكهربي والمغناطيسي هو الذي يحدد حجم انتظام حركة الجسيمات بداخلها، ومن ثم خصائصها الفيزيائية والكيميائية، ويحمل هذه القوة جسيمات تعرف باسم "الفوتونات"(٢)، وهي جسمات لا كتلة لها ولا شحنة(٣).

وقد بين العلماء أن هذه القوة أقوى بكثير من قوة الجاذبية، بما يقرب من مليون مليون مليون مليون ضعفًا، أي بعبارتهم: (١ يعقبه اثنان وأربعون صفرًا)(٤).

لقد حدد العلماء قيمة الثابت الكوني للقوة الجاذبة: ٥.٩×10^{-39}، بينما حددوا قيمته بالنسبة للقوة الكهرومغناطيسية ٧.٣×10^{-3}، كما بينوا أهمية هذه الثوابت في نشأة الكون وتنظيمه ودقة إبداعه، وأكدوا أهميتها البالغة في تكوين النجوم النموذجية واستقرارها وإشعاعها للحرارة والضوء(٥).

---

(١) يراجع لبول ديفيز: القوى الأربع الأساسية في الكون، ص ٩٤ – ٩٧، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: جلال عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٢) الفوتون: "كم أو كمة إشعاع كهرمنطيقي، طاقته = التردد × ثابت بلانك "[ميرفانا ياسر: معجم الفيزياء، ص ١٩٧].

(٣) يراجع للدكتور صبري الدمرداش: للكون إله (قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور) ص ٢٣٦، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٤) ستيفن هوكينج: تاريخ موجز للزمان، ص ١٢٧.

(٥) يراجع للدكتور محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان، ص ١٢١.

يقول الدكتور محمد باسل الطائي: «لولا هذه القيم المضبوطة للثوابت ما كانت الشمس بهذه الحال، إن هيكل النجم يعتمد بدقة نوعًا ما على قدرته على نقل الحرارة من جوفه إلى سطحه بالإشعاع، ففي النجوم ذوات الكتل الكبيرة تصبح الطاقة الإشعاعية هي الطاقة المهيمنة، وتتحرر الطاقة الحرارية من هذه النجوم بصورة رئيسة، من خلال سريان الإشعاع، وتدعى هذه النجوم (العمالقة الزرق)، أما لو كانت كتلة النجم أقل من حد معين؛ فإن طريقة نقل الطاقة هذه سوف تفشل؛ لأن الإشعاع لا يتمكن من النفاذ بسرعة كافية لإمداد سطح النجم بالحرارة الكافية، وهذا أمر مهم؛ إذ ما لم تبق مادة سطح النجم متأنية جزئيًا فإن حالات من عدم الاستقرار ستحدث، وستؤدي إلى انتقال الحرارة بواسطة الحمل، إن الهيجان الحملي للحرارة يكون مكملًا لجريان الطاقة الإشعاعية، ويمنع درجة الحرارة من الانخفاض بصورة كبيرة إلى ما دون حرارةالتأين؛ لذلك تكون هذه النجوم –التي تشكل فيها عملية الحمل الحراري– المنفذ الرئيس لتحرر الطاقة نجومًا أصغر وأبرد من (العمالقة الزرق)، وتسمى هذه النجوم (العمالقة الحمر). إن الشمس والعديد من النجوم المستقرة الأخرى تقع ضمن المجال الضيق نوعًا ما، والمحدد بالحالتين المتطرفتين: العمالقة الزق والعمالقة الحمر»(١).

من النص السابق تيبن أن هذه القيم المضبوطة هي التي جعلت الشمس تظهر بهذه الصورة التي نعرفها، بيد أنه إذا حدث أي تغير في هذه القيم فسوف يترتب عليه تغير شكل الشمس، ومن ثم يحدث التغير في صورة العالم.

ج– **القوى النووية:**

تؤدي القوى النووية –بنوعيها– دورًا مهمًا في البنية الأساسية لنواة ذرات العناصر وتركيبها، وحيث إن العالم مكون من ذرات فإنها تؤدي الدور الأساس في تشكيله وبناء صورته، وبيانه على النحو التالي:

---

(١) الدكتور محمد باسل الطائي: صيرورة الكون، ص ٢٦٤، وقارن بول ديفيز: عالم الصدفة، ص ١٠٧.

تحتوي نواة الذرة على بروتونات ونيوترونات، ومن المعلوم أن الشحنات المتشابهة تتنافر؛ لذا فإن القوة النووية الشديدة هي المسئولة عن تلاحم البروتونات والنيوترونات داخل النواة، وبدونها سوف تنفجر النواة نتيجة التنافر الكهربي(١).

وبناء عليه: فإن ثابت الربط النووي الذي تحدد قيمته القوى النووية له دور مهم في استقرار العناصر، فإذا "كانت القوى النووية أضعف قليلًا فسيكون هنالك عدد قليل من العناصر االكيمياوية المستقرة، فإذا كانت قيمة ثابت الربط النووي نصف قيمته المعروفة مثلًا، فعندئذ لا يتمكن نوى مثل الحديد ولا حتى الكربون أن تبقى مستقرة لفترة طويلة، مما يسلب الحياة عنصرًا مهمًا وأساسيًا جدًا في تكوينها؛ إذ من المعلوم أن الكربون عنصر أساس في تكوين الحامض النووي المسئول عن تسجيل وحفظ الشفرة الوراثية (الكروموسومات) مما سيعني استحالة نشوء الحياة على الأرض بالصورة التي نعرفها"(٢).

مما سبق اتضح أن القوة النووية مضبوطة ضبطا دقيقًا بمقادير ثابتة تسمح بتكوين العناصر الأساسية للحياة، وعلى رأسها الكربون؛ حيث إن وجود الحياة مشروط بعدة أمور، منها: توافر كمية كبيرة من عنصر الكربون.

وقد أبان العلماء أن الكربون يتكون إما من اندماج ثلاث نويات هيليوم، وإما من اندماج نوتان مع الهيليوم والبريليوم. وهذا الاندماج يتطلب ضبط الحد الأدنى لمنتوجات الطاقة النووية، ضبطًا دقيقًا بالنسبة لبعضها بعضا، وقد عرف هذا باسم (الرنين) حيث

(١) يراجع لبول ديفينز: عالم الصدفة، ص ٣٠، وله أيضًا: القوى الأربع الأساسية في الكون، ص ١٠٣.

(٢) محمد باسل الطائي: خلق الكون بين العلم والإيمان، ص ١١٨.

بين العالم "فريد هوبل"(١) أن هذه العملية تتطلب ضبطًا دقيقًا لمستويات الطاقة، فإن كان الاختلاف أكثر من ١./. في أي ناحية من الناحيتين؛ فإنه يترتب عليه استحالة نشوء حياة على هذا الكون، وقد ذكر أن هذا الأمر كان بمثابة زلزال شديد هزّ إلحاده، وجعله يعيد التفكير في الأمر(٢).

يضاف إلى ما سبق: أن الضبط الدقيق لم يتوقف عند كل قوة منفردة، بل أسفرت الدراسات عن ضبط وإحكام متقن في العلاقات بين هذه القوانين والثوابت، بحيث لو حدث تغيير طفيف في واحد منها لترتب عليه خلل في النظام الكوني، وكيف لا وقد قال الله جل علاه: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾(٣). وهو القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾(٤).

ومما يسترعي الانتباه: اعتراف العلماء بوجود ضبط وإحكام في العالم، يتجلى في مظاهر متنوعة.

أما مسألة تفسير هذا النظام برده إلى إله عالم مريد، أو رده إلى الصدفة، أو تفسيره بأي اتجاه؛ فهذا ما سوف أتناوله في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

---

(١) فريد هوبل: عالم فضاء ورياضيات بريطاني، ولد عام ١٩١٥م، وتوفي عام ٢٠٠١م، ساهمت أعماله في فهم نظرية الانفجار العظيم، كان عضوا في الجمعية الملكية لتقدم العلوم، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، عمل في عدد من الجامعات، منها: كارديف، وكامبردج، وفيكتوريا، وغيرها. حاز على عدد من الجوائز والأوسمة، منها: جائزة بلزان سنة ١٩٩٤م، ووسام كارل شفارنسشيلد ١٩٩٢، كما حاز على قلادة ملكية عام ١٩٧٤م، وميدالية بروس ١٩٧٠م، وغيرها. [ar. m. wikipedia. org].

(٢) يراجع لجون لينوكس: العلم ووجود الله، هل قتل العلم الإيمان بوجود الله، ص ١٢١، ترجمة: مارينا كتكوت. تحرير: د. سامح فكري حنا، تقديم: د. ماهر صموئيل، نشرد: ثريد ولوجس.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٩.

ثانيًا: أهم الشبهات المثارة حولها.

على الرغم من أن نتائج العلوم الحديثة في مجالات عدة تشهد بأن هذا العالم منظم؛ يسوده الإحكام والإتقان، ويعمل في تناغم؛ إلا أنه وجد من يشكك في هذا، مقدمًا إشكالات اعتقد أنها أدلة على عدم النظام، وسوف أعرض طرفًا منها على النحو التالي:

الشبهة الأولى: الحكم على العالم بالنظام من الوهميات(١).

أ- **العرض**

ذهب بعض الملحدين المشككين في "برهان النظام" إلى أن هذا الحكم غير صحيح؛ فهو عمل من أعمال الوهم، أساسه الانطباع الإنساني وحده، فلا وجود لما يسمى بالنظام في واقع الحياة، بل إن الوعي البشرى هو المسئول الأول عن تقسيم الأشياء، وإضفاء الأحكام عليها؛ وفقًا لظروف وعوامل مختلفة، ومن ثم فربما يحكم إنسان على الشيء بالنظام ويأتي إنسان آخر فيحكم على الشيء ذاته بعدم النظام، وبناء عليه: فهذه الأحكام توصيفات خاصة بكل إنسان، تخضع لمعايير نفسية.

يقول سامي لبيب:(٢) «لا يوجد شيء في الوجود يحمل في ذاته وكينونته جزئيات اسمها نظام وتصميم؛ لذا نحن أمام تقسيم العقل البشري للأشياء؛ ليسقط عليه صفات ومعان إنسانية عن التصميم والروعة والنظام والعبث، فمثلًا: ما كان يراه الإنسان القديم رائعًا ومدهشًا نراه عاديًا، أي: أن تلك التوصيفات للكون والحياة هي توصيفاتنا وتقييماتنا

---

(١) الوهميات: قضايا كاذبة، يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة، كالحكم بأن وراء العالم فضاء لا يتناهى. [الجرجاني: التعريفات، ص ٢٥٥].

(٢) يعد من أبرز الشخصيات الإلحادية حضورًا على مواقع التواصل الاجتماعي؛ لكثرة كتاباته التي تجاوزت ٦٩٠ مقالًا في نقد الدين، وهو من المفكرين اليساريين، ليس هناك معلومات كافية عن سيرته الذاتية، لكن يظهر من كتاباته أنه مصري الجنسية، كان مسيحي الديانة قبل إلحاده. [يراجع لكاظم المالكي: آراء بعض الحداثيين الإلحادية، ص ٤٧، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث بالعراق، العدد السادس، السنة الثانية ٢٠١٩م].

الخاصة، وطالما هو كذلك هي نسبية تخضع لعوامل وظروف موضوعية شتى، فمن الخطأ القول بأن الطبيعة منظمة أو عشوائية أو كونًا رائعًا، فقولنا هذا هو إعطاء سلوك شخصي للطبيعة؛ لتقع في نفس فكرة الإله»(١).

ومما هو جدير بالذكر: أن هذا الإشكال قد أخذ صورًا وأنماطًا مختلفة، كلها تدور حول فكرة الإنسان وحده، فلو لم يكن هناك إنسان ما حُكِم بالنظام على العالم.

وقد أبان العلماء أن هذه الشبهة هى نفسها شبهة الوجوديين الذين يرون «أن الكون ليس سوى أمواجًا خالية عن أي تعيين أو تطور، والإنسان هو الذي يضفي على هذه الأمواج أوصافًا وألوانًا، ويحد لها تواريخ، ويعطيها معانٍ، ثم يقضي بنفسه أن هذا منظم وذاك غير منظم، ولولا هذا الإنسان لكان الكون بلا معنى ولا تحديات»(٢).

وقد حاول "فيكتور ستينجر"(٣) التدليل على أن العالم يخلو من النظام والإتقان، ويطعن على أدلة المؤمنين التي استندوا إليها في إقرار النظام معلنًا أن «كل عالم المشاهدات العلمية يعود لنفس الاستنتاج: "الكون لا يبدو مُصممًا"»(٤).

وقد أُلبست هذه الشبهة ثوبًا جديدًا لدى بعض علماء الفيزياء، الذين أذهلهم الضبط الدقيق في الكون، فأبَوا الاعتراف بأنه مسخّر للإنسان، ومهيَّأ لوجوده، وأنه أُعِدّ بعناية فائقة من قِبل إله حكيم، فذهبوا إلى ما يسمى بالمبدأ الإنساني الضعيف، الذي يختصر

---

(١) سامي لبيب: نظريتي في فهم ماهية النظام والعشوائية، الحوار المتمدن، العدد ٥٧١٧، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٤م.

(٢) الأستاذ جعفر الهادي: الله خالق الكون، ص ٢٤٧.

(٣) من أشهر الملاحدة الغربيين، ولد عام ١٩٣٥م، وتوفي عام ٢٠١٤م، وهو عالم فيزياء الجسيمات الأمريكي، يرتبط اسمه بالإلحاد المعاصر، من مؤلفاته: الله وحماقة الإيمان، مغالطة التوافق الدقيق، الله الفرضية الفاشلة. [ar. m. wikpedia. org].

(٤) فيكتور جون ستينجر: الله الفرضية الفاشلة (كيف يثبت العلم عدم وجود الله) ص ٧٢، ترجمة وتقديم: د. كمال الطاهر، طبعة ٢٠١٢م.

في «أننا نرى الكون بما هو عليه؛ لأننا موجودون»(١). وبناء عليه: لو انتفى وجود الإنسان انتفى النظم.

ب- المناقشة:

إن الادعاء بأن النظام لا وجود له فى العالم الواقعى؛ استنادًا إلى عدم وجود شيء في الكون يحمل في ماهيته جزئيات اسمها "النظام" إنما ينبئ عن جهل وعدم إدراك للمعاني والمفاهيم؛ حيث إن من المعاني من ينتزع مفهومها من الخارج، فليس لها مصداق في الخارج، لكن اتصافها يكون خارجيًّا، وعروضها في الذهن وهو ما يطلق عليه المعقولات الفلسفية الثانية(٢).

وبناء عليه: فالعقل يحكم بالنظام إذا لاحظ الترابط والترتيب والغاية؛ فهذا الحكم يتأتى للإنسان عندما يتأمل في ماهية النظام، وينظر إلى جوهره الذي لا يمكن تحقيقه بلا فاعل مريد.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الإنسان عندما يلاحظ، ويتأمل، ويتدبر في الكون، ويصل إلى معانٍ ومفاهيم كالنظام؛ فهو يكشف عن معانيها التي وضعها الله -تعالى- في الكون، ومن ثم فإنه يكشف مفهوم "النظام" عن طريق الإدراك العقلي لظواهر العالم التي يتجلى فيها الضبط والإحكام.

---

(١) سيتفن هوكينج: تاريخ موجز للزمان، ص ٢٠٨.

(٢) سبق الإشارة إليه أثناء بيان مفهوم النظام – ولمزيد من التفصيل يراجع للشيخ أحمد السجاعي: الجواهر المنتظمات في عقود المقولات، وهو شرح نظم المقولات العشر له ص ٥ – ٦. ومعه حاشية الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م. حيث فصّل القول في أنواع الوجود ما بين: وجود في الأعيان، وفي الأذهان، وفي العبارة، وفي الكتابة. كما فصّل القول في المعقولات الأولى والثانية، وبيّن علاقة المعقولات الثانية بالمقولات.

ثم إن الادعاء بأن مفهوم "النظام" غير جلي؛ لا يتأتى للجميع، بل هو من الأحكام النسبية، فما يحكم عليه شخص بالنظام قد يحكم عليه آخر بالعشوائية والفوضوية؛ ادعاء غير صحيح، مرجعه الجهل بمعنى النظام؛ إذ النظام ما بني على غاية وهدف واضحيَن.

ولا شك أن هناك فرقًا بين الأمور التي يسود النظام والاتساق والتعاون والترابط بين أجزائها وبين الأمور التي لا تتصف بذلك، فهي أمور واقعية خارجية عن ذهن الإنسان، فالظواهر المتصفة بالنظام هي كذلك في الواقع، سواء أدركها الإنسان أم عجز عن إدراكها.

ولا شك أن هذا الادعاء والحكم على النظام الموجود في العالم بالوهميات مكابرة وتفكير خاطئ، يقود صاحبه في نهاية المطاف إلى إلغاء الحقائق الموضوعية «فإنك إن شككت في إفادة الصنعة المعقدة المركبة للعلم، وقمت بالتحذير من مثل هذا التصور؛ تحت ذريعة نسبية هذا الحكم، وأنه لا تحقق فعليًّا وموضوعيًّا له؛ فسيئول بك الأمر إلى التشكيك في كل ما حولك؛ لإمكانية أن تكون هي الأخرى مجرد إسقاطات نفسية، دون أن يكون لما حولك قيمته الموضوعية المستقلة عنك، إنها تنتزع عن التصور الإنساني البشري وتفسيراته كل قيمة موضوعية وتحليها إلى مجرد معرفة نسبية قابلة للتشكيك، وهي ما يمكن أن ينتهي بصاحبه إلى نمط من أنماط السفسطة» (١).

يضاف إلى ما سبق: أن المنكرين لضبط العالم، وتجلي النظام، والاتساق بين ظواهره؛ وقعوا في مأزق، حيث إن العلماء –وحتى كثير من الملحدين(٢)– يقرون بوجود التصميم والضبط الدقيق في العالم، محاولين الهروب من إلزامات وجود الضبط، وعلى رأسها: وجود إله مصمِّم، يفعل لحكمة، مفسِّرين ذلك بتفسيرات وفرضيات مختلفة، على

(١) الشيخ عبد الله بن صالح العجيري: شموع النهار (إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي) ص ٢١٢.

(٢) من هؤلاء: هاوكنج، روجر بنروز، ومارتن ريس، واينبرغ، ولا شك أن جميعهم علماء لهم مكانة مرموقة في الغرب الأوربي.

ما سوف يأتي بيانه إن شاء الله تعالى، ولكنهم –على الرغم من ذلك يقرون بوجود النظام والاتساق في العالم.

وبناء عليه: يكون الحكم على العالم بالنظام حكم عقلي، مبني على مشاهدات وأدلة مختلفة، ولم يُبنَ على وهم أو عاطفة، بل هو «قائم على الحساب الرياضي الاحتمالي، وليس مجرد نظرية تأملية شاعرية؛ ولذا فالرد عليه يحتاج إلى لغة رياضية تنقض حقيقة الأرقام أو تفسرها غير تفسير المؤلِّهَة»(١).

وقد أكد المختصون في علوم الفيزياء أن هذا النظام البديع والإتقان الفريد الموجود في العالم تحكمه قوانين محكمة ليست –بالطبع– من إنشاء البشر، بل إن البشر هم من يسعون لاكتشافها، وليس اختراعها.

لقد أكد "بول ديفيز" ذلك في خطابه أثناء تسلمه جائزة "تمبلتون" عن دراساته حول العلاقة بين ما في الطبيعة من منطق وانسجام وبين قضية الألوهية(٢).

مما سبق يتضح أن ما ذهب إليه الملاحدة، وما أعلنوه من أحكام؛ هي أقوال سوفسطائية، خالية من البرهان، وفي الوقت نفسه مردودة عليهم بالأدلة اليقينية وشهادة العلماء في مجالات الفيزياء والرياضيات وغيرهما بأن العالم محكم، يعمل في تناغم مستمر.

وقد لفت علماؤنا الأجلاء النظر إلى حقيقة مهمة، هي: أن الخلاف بين المؤلهين والملحدين غير قائم في ظاهرة النظم، بل هو متطرق إلى حقيقته؛ حيث إن المؤله يرى أن النظم حقيقة تتجلى مع ظاهره، ومن ثم لا يجد أدنى صعوبة في التوفيق بين ظاهر النظام وحقيقته؛ لأنه يتماشى مع القاعدة العامة التي تؤكد أن ظاهر الشيء يعكس

---

(١) د. سامي عامري: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، ص ٤٦٨.

(٢) يراجع للدكتور عمرو شريف: رحلة عقل، ص: ٩٠ –٩١، تقديم: د. أحمد عكاشة، مكتبة الشروق، عام ٢٠١١م، وجائزة "تمبلتون" هذه جائزة تقدمها مؤسسة "تمبلتون" بالولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٣م، تقدم للبحوث العلمية التي تخدم الجوانب الدينية والروحية.

حقيقته، وهذا هو الأصل في كل أمر، أما الملحد الذي يقر بالنظام ظاهريًّا لكنه –في حقيقة أمره– خادع للأبصار؛ فهو يحاول جاهدًا إثبات أن النظم وهم من الأوهام، غير أنه يتصادم مع المظاهر الكثيرة التي تؤكد وجود النظام في العالم، وتجعل من النظام أمرًا واقعيًّا. وإثبات عكس ذلك يقع على عاتق الملحد لا على المؤله؛ لأن الأصل في الشيء صدق ظاهره إلى أن يثبت البرهان عكس ذلك(١).

مما سبق يتضح أن الادعاء القائل بأن النظام أمر وهمي لا يستند إلى فهم حقيقي للواقع الذى يشهد أن النظام جزء أساس من عمل الكون.

الشبهة الثانية: استحالة الحكم على العالم بالنظام لاستحالة المقارنة.

أ- **العرض:**

تتلخص هذه الشبهة في أننا ليس لدينا علم أو معرفة إلا بهذا الكون، فلا يحق لنا أن نحكم على غيره، فمن أين يتأتى لنا المقارنة بين كوننا وبين أنواع أخرى مجهولة، لنتأكد من تحقق الاتفاق أو عدمه، فالحكم على الكون بالروعة –دون مشاهدة أكوان أخرى– إنما هو حكم بلا دليل.

(١) يراجع للدكتور سامي عامري: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

وقد نقل "جون لينوكس"(١) هذه الشبهة عن "هيوم"(٢)؛ حيث قال: «وقد قال هيوم أيضًا: إننا حتى نستدل على أن عالمنا يخضع لتصميم كان يجب أن نلاحظ عوالم أخرى تخضع لتصميم، وعوالم لا تصميم لها؛ حتى نقارن بين الاثنين". ويتضح أن حجة هيوم هذه حجة استقرائية، تعتمد قوتها على عيّنة من الأكوان التي تخضع للملاحظة، ومن هنا يستنتج هيوم أن الحجة ضعيفة جدًا؛ لأن الكون الوحيد الذي أخضعناه للملاحظة هو هذا الكون»(٣).

إن "ديفيد هيوم" يرى أن الكون لم يتكرر وجوده حتى نقف على كيفية إيجاده، ومن ثم لا يمكننا إثبات علة لوجوده، على مثال المصنوعات البشرية.

---

(١) جون كارسون لينوكس: عالم بريطاني، ولد سنة ١٩٤٣م، تخصص في الرياضيات وفلسفة العلوم، عمل أستاذًا للرياضيات في جامعة "أكسفورد"، له الكثير من المناظرات التي يواجه خلالها الملحدين، محاولًا الدفاع عن المسيحية، له سبعون بحثًا منشورًا في تخصصه، وألف عددًا من الكتب عن علاقة العلم والدين والأخلاق، منها: كتاب الله وستيفن هوكنغ: تصميم من بكل الأحوال؟ وكتاب: حانوتي الإيمان: [ar. wlkipedla. org/wik/].

(٢) ديفيد هيوم: فيلسوف إنجليزي، ولد سنة ١٧١١م، وهو من أنصار المذهب التجريبي، بل يعد أحد أركانه، وفي سبيل شغفه بالفلسفة ترك دراسة القانون الذي أرادته أسرته عليها، سافر إلى فرنسا، وأقام بها ثلاث سنوات، ثم عاد إلى إنجلترا، ونشر مجلدين من كتابه (بحث في الطبيعة الإنسانية) ومن مؤلفاته: مقالات فلسفية في العقل الإنساني، وبحث في التاريخ الطبيعي للدين، وغيرها. توفي سنة ١٧٧٦م بعد إصابته بقرحة في المعدة. [يراجع في تفصيلات حياته وفلسفته للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٦١١ – ٦١٨، ويراجع لجورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص ٧٢٦ – ٧٢٧، دار الطليعة –بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦]. وقد ساق "هيوم" شبهاته حول دليل النظام على لسان شخصين افتراضيين، أحدهما: يدافع عن برهان النظام، ويسمى "كليانتش"، والآخر: يشكك في صحته، ويسمى "فيلون"، وقد دوّن ذلك في كتابه (محاورات في الدين الطبيعي)، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

(٣) جون لينوكس: العلم ووجود الله، ص ١٤٦.

إن هؤلاء الملحدين ينكرون القول بالنظام والتصميم في العالم لاستحالة المقارنة بينه وبين عوالم أخرى؛ «فالإنسان لا يمتلك أي معرفة بطرق تشكل الأكوان بعد، فإذا أردنا أن نمتلك خبرة كافية للكون –على سبيل المثال– فعلينا أن نقيسها مع أكوان أخرى مختلفة، كذا علينا أن نمتلك خبرة كافية بطرق تشكل الأكوان، لكننا لا نمتلك نموذجًا لكون آخر، وهذا يعني عدم إمكانية أن نضع أدوات قياسية صحيحة؛ هذا شبيه بالقول الخاطئ بأن كوننا بديع، فلا يمكن التحقق من هذا القول كوننا لم نر أكوانًا أخرى ليحق لنا التقييم والتوصيف» (١).

ب– المناقشة:

إن القول باستحالة الحكم على العالم بالنظام –بدعوى استحالة المقارنة– بينه وبين عوالم أخرى؛ قول يحتاج إلى مراجعة، ولعل السبب في ذلك: أن مدعي هذا الأمر لم يتلفتوا إلى الفارق الدقيق بين الوصف والمقارنة.

فوصف العالم بالنظام إنما هو إخبار عن حقيقته؛ إذ الوصف: «ذكر للشيء بما فيه من الأحوال والهيئات»(٢). ولا شك أنه لا يتوقف على مقارنته بغيره؛ إذ المقارنة مقايسة وموازنة بين أمرين أو أكثر.

ولعل هذا الأمر يعد من البدهيات؛ فملاحظة النظام لا يتوقف ولا يرتبط بعقد مقارنة بينه وبين العشوائية؛ فهو من الأمور التي لا تتوقف معرفتها على معرفة ما يضادها.

---

(١) سامي لبيب: وهم المصمم وتهافت نظرية التصميم الذكى، الحوار المتمدن، العدد ٥٧٥٤، بتاريخ ٢٠١٨/١/١١م.

(٢) الشيخ قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (أبو الفرج) (ت ٣٣٧هـ): نقد الشعر، ص ٤١، مطبعة الجوانب –قسطنطينية، الطبعة الأولى ١٣٠٢هـ

ومما يجب التنويه عليه: أن هذا النمط من التفكير يقف حجرة عثرة أمام البحث العلمي، ويغلق باب البحث عن السبب الذي يقف وراء كون الثوابت الكونية على هذا النحو(١).

كما أن ما نقل عن "هيوم" في هذا الصدد يرجع إلى أمر آخر؛ حيث ذكر أنه بني على التشابه بين الكائنات الحية ومصنوعات الإنسان، ومن ثم تعدى الحكم من أحدهما إلى الآخر.

وبنى اعتراضه على المخالفة بين الموجودات الطبيعية والمصنوعات البشرية، ولا يصح أن يعطى أحدهما حكم الآخر بناء على المشابهة، وجعل مستنده هذا على أننا صح لدينا تجريب ذلك على المصنوعات البشرية، فحكمنا أنها لا توجد إلا بصانع عاقل، أما العامل فلم يتكرر وجوده حتى يقف الإنسان على خلقه وإيجاده؛ ولذلك لا يمكن إثبات علة له على غرار المصنوعات البشرية. يقول: «إن أي تشابه كهذا بين بناء منزل وتكوين عالمًا؟ هل حدث لك أن رأيت في الطبيعة حالة تشبه أول ترتيب للعناصر؟ هل حدث أن صيغة العوالم تحت بصرك؟ هل أتيح لك أن تلاحظ تقدم الظاهرة بأسره أول تبدٍ للنظام الى تمامه النهائي؟»(٢).

ومما يجب الالتفات إليه: أن بناء الدليل على مقدمتين، إحداهما حسية الأخرى عقلية؛ لا يخرج البرهان عن كونه برهانًا عقليًّا؛ ولعل السبب في ذلك أن دور الحس ينحصر في إثبات وبيان الموضوع، يعني أننا ندرك بالحس مظاهر التنظيم في الكون، أما الحكم فمرجعه العقل، كما هو محال في الحكم على المربع بأن أضلاعه الأربعة تتساوى في الطول، فهذا الحكم صدر بعد إثبات وجود مربع أمام الحواس، ومن ثم أتى الحكم بمشاهدة المربع(٣).

---

(١) الشيخ عبد الله العجيري: شموع النهار، ص ٢٢٤.

(٢) هيوم محاورات في الدين الطبيعي، ص ٤٨.

(٣) يراجع للأستاذ جعفر الهادي: الله خالق الكون، ص ٢٤٩.

وبناء عليه: فلا تَرُدّ إشكالات "هيوم: على البرهان العقلي، وإنماتصدق إذا ثبت أنه برهان تجريبي، وهو ما أثبت البحث العلمي خلافه.

مما سبق يتضح أن الادعاء بأن الحكم على العالم بالنظام يعتمد على الاحتياج إلى نموذج أو نماذج من عوالم أخرى للمقارنة –وهو أمر مستحيل– ومن ثم يصبح هذا الحكم عاريًا عن الصحة؛ أمر غير صحيح؛ لأن الحكم على العالم بالنظام والإتقان اعتمد على ظواهر وقوانين داخل العالم، حيث إن رصد هذه الظواهر وتلك القوانين والتنبؤ بما يحدث وفقًا لقوانين الطبيعة داخل العالم، فيشهد بأنه محكوم بنظم ثابتة تدل على الإتقان والإبداع والتنظيم.

الشبهة الثالثة: الفوضوية والعشوائية الموجودة في العالم تلغي الحكم عليه بالنظام

أ-<u>العرض</u>

تعد هذه الشبهة من أهم الشبهات التي طرحها الملاحدة ضد فكرة وجود نظام معد بعناية من قِبل منظِم متقِن، حيث يرى هؤلاء أن وجود العشوائية والفوضوية التي تبدو في بعض الأحداث والكوارث الطبيعية، مثل: الزلازل والبراكين والأوبئة... وغيرها؛ خير دليل على بطلان القول بالتنظيم والتصميم؛ إذ كيف يوجد النظام في عالم مليئ بالعشوائية!

ولعل السبب في ذلك: أن النظام –من حيث هو ترتيب دقيق في العالم– يفسر بوجود قوانين ثابتة وظواهر فيزيائية حكيمة، بيد أن الشر الطبيعي المتمثل في الكوارث والأعاصير وغيرها يشير إلى أحداث تشهد بوجود خلل في المنظومة البيئية.

لقد أخذ هذا الإشكال صورًا وأنماطًا متعددة، كان من أبرزها فكرة الشر، التي عرفت بصخرة الإلحاد، وقد وظفت وفسرت بتفسيرات مختلفة، وجعلت الحجة الرئيسة للملحدين، كما صرحوا هم أنفسهم في مناظراتهم للمؤمنين(١).

وقد استند كثير من الملحدين إلى موقف "ديفيد هيوم"، الذي يؤكد أنه لا نظام ولا إتقان في العالم؛ حيث إن النظرة السطحية للكون هي التي تسببت في هذا الحكم، بينما النظرة المتأنية تبطل هذا الادعاء، وقد نقل "فيكتور ستينجر" مقولة "ديفيد هيوم" تحت عنوان: (وهم التصميم) حيث يقول: «انظر حولك في الكون: يا لها من وفرة هائلة من الكائنات الحية المنظمة الحساسة والفاعلة، لكن راقب –لوهلة وبدقة– تلك الموجودات الحية: كم هي عدائية ومدمرة لبعضها! كم هي عاجزة عن تحصيل سعادتها!»(٢).

إن هؤلاء يتخذون من بعض مظاهر الشرور الظاهرية ذريعة للحكم على الكون بالعشوائية وعدم الإتقان، ومن ثم إنكار الله، مدعين أن «مشاهد الحياة –التي يفترض أن الله مبدعها– هي من العنف والظلم والوحشية المرعبة بحيث إننا لا نجحف إن شبّهناها بمجزرة طويلة ومستمرة، الحقيقة هي أنه ليس أمامنا من مخرج، ولا سبيل إلى تفسير جميع هذه الكوارث والشرور؛ إلا بالقول بأن الله غير موجود»(٣).

---

(١) بيّن ذلك "ما يكل تولي" و"ستيفن لاو" في مناظرتهم لكريغ، كذلك فعل "مايكل روس" في مناظرته الداعية النصراني "فنرلا رنا"؛ حيث صرح أنه لا يرفض الإيمان بوجود الله إلا لسبب واحد، هو: مشكلة الشر، وقد تجلى ذلك في كثير من المناظرات. [يراجع للدكتور عدي نعمان ثابت: إشكالية الشر عند الملاحدة المعاصرين وأثرها في نفي وجود الإله، دراسة عقدية نقدية، ص ٢٤٠ – ٢٤٢، مجلة العلوم الإسلامية، العدد ٣١].

(٢) فيكتور جون ستينجر: الله الفرضية الفاشلة، ص ٥١.

(٣) محمد المزوغي: تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ص ٤٣٠، مكتبة الفخر الجديد، منشورات الجمل –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

إن هؤلاء الملحدين يعدون المظاهر الجزئية التي قد تبدو من الناحية الخارجية أنها شرور محضة، ويتخذون منها مبررًا للقول بنفي التصميم والغائية في العالم.

يقول أحدهم: «العالم ليس مصممًا ذكيًا؛ فالعالم مليئ بالأخطاء الجغرافية والمناخية والبيولوجية، ومليئ بالظلم والجور والفقر والمرض، مليئ بالأخطاء الجيولوجية التي تسبب الزلازل والبراكين والتسونامي، التي تفتك بالآلاف كل عام، كذا: أين هو الذكاء في خلق أكثر من ربع اليابسة صحراء لا تصلح لعيش الإنسان أو الحيوان؟... هذه التناقضات في العالم وغيرها الكثير؛ حملت الملك "ألفونسو العاشر" ملك كاستيل بإسبانيا عام ١٢٥٢م إلى القول: "لو كنت مستشارًا لله يوم خلق العالم لكان قد خلقه أحسن من هذا بكثير"»(١).

وخلاصة القول: أن هؤلاء يعتقدون أن وجود العشوائية في العالم تلغي الحكم عليه بالنظام، ومن ثم تنفي القول بوجود إله؛ لأن الغائية الإلهية تنعدم في ظل وجود الفوضى والعشوائية.

ب- المناقشة:

إن الملحدين -الذين رفعوا لواء هذه الشبهة- قد التبس عليهم الأمر؛ حيث خلطوا بين العشوائية الجزئية التي تبدو في جوانب معينة وبين النظام العام الذي يحكم الكون كله، فوجود عشوائية في ظواهر بعينها -كالكوارث الطبيعية مثلًا- ليست دليلًا على غياب النظام، بل هي جزء أساس من تحقيق النظام في الكون، وهي تبدو عشوائية للنظرة السطحية غير المتعمقة.

بيد أن النظرة المتخصصة تحكم بعكس ذلك؛ فهناك كثير من الظواهر التي تبدو للعين المجردة أنها عشوائية لكنها -واقعيًا- تعمل وفق نظام دقيق ومعقد، ويعتمد كشف ذلك على الفهم الصحيح القائم على تقدم العلوم. وخير دليل على ذلك: تلك الحركة

(١) سامي لبيب: وهم المصمم وتهافت نظرية التصميم الذكي، ص ٢، الحوار المتمدن، العدد ٥٧٥٤، بتاريخ ٢٠١٨/١/١١م.

العشوائية لجزيئات السوائل والغازات؛ فعند النظرة العابرة تبدو حركة عشوائية، ولكنها تخضع لقوانين الديناميكا الحرارية(١)، ويمكن تفسيرها باستخدام القوانين الرياضية(٢).

يضاف إلى ذلك: ما يقرره العلماء من أن الأنظمة الفوضوية تبدو غير منتظمة، غير أنها تخضع لقوانين رياضية دقيقة، وقد أثبت العلماء أن «ثمة انتظام ينبثق في قلب تلك النظم التي تجمع الفوضى والنظام في الحين نفسه»(٣).

وأنوه إلى أن محدودية الإدراك الإنساني –مهما كانت قوة صاحبه ورجاحة عقله– أحد أهم الأسباب التي تجعل الإنسان يرى بعض الأشياء فوضوية، لا نظام فيها ولا تصميم، بيد أنه إذا دقق النظر، وانكشف عنه حجب الجهل بعد تطور العلوم، ربما تبين له ضيق أفقه وقصر نظره، مع التأكيد على أن العقول تعجز عن الإحاطة بحكم الله تعالى(٤) والمؤمن الحق يجب عليه أن يعى ذلك.

---

(١) الديناميكا الحرارية: أحد فروع علم الفيزياء، الذي يعنى بدراسة الحرارة، وعلاقتها بصور الطاقة المختلفة، وكيفية تحويل كل منها إلى الآخر، ويعرف بالترموديناميك، أو الديناميات الحرارية، وله قوانين أربعة. [يراجع لمرفانا باسر سلامة: معجم الفيزياء التعريفات العليمة، ص ٢٦٤، وللدكتور رأفت كامل واصف: فيزياء المادة والديناميكا الحرارية، ص ٢٦٩، دار النشر للجامعات بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م].

(٢) يراجع في تفسيرات هذه الحركة للدكتور فياض عبد اللطيف النجم، د. عبد الحميد علي العبد: النظرية الحركية للغازات والميكانيك الإحصائي، ص ٧ – ١٩، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالعراق، الطبعة الأولى.

(٣) حايمس غليك: نظرية الفوضى علم اللامتوقع، ص ٢١، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي – بيروت –لبنان، بالاشتراك مع مركز الباطين للترجمة بالكويت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، وقد أفاض في شرح كيفية ظهور الأنظمة المنظمة من الفوضى الظاهرية.

(٤) أكد علماء الكلام الإسلامي أن الحكمة الإلهية قد تتجاوز الفهم الإنساني المحدود، مؤكدين أن أفعاله –سبحانه وتعالى– دائمًا تحمل الحكمة، لكنها –في بعض الأحيان– لا تظهر للبشر، وربما =

أما ما ذكره الملحدون من أن الزلازل والبراكين خير دليل على بطلان التنظيم والإحكام في العالم؛ فهو شبهة عارية عن الصحة؛ لأن هذه الظواهر الطبيعية التي يبدو في ظاهرها الخلوّ من الحكمة -كما يدعي هؤلاء- هي جزء جوهري من تكامل الكون، وعند تحليلها تكشف عن توازن طبيعي يبرهن على النظام، مما يتضح معه ضرورة الاعتراف بالخالق.

وقد أبان العلماء عن طرف من فوائدها بالنسبة للطبيعة(١)، فمثلًا: « يمكن أن يؤدى كلا من الزلازل والبراكين إلى مجموعة من الفوائد لسطح الأرض -بغض النظر عن الأضرار-حيث يساعدان بدور كبير فى التخلص من نسبة كبيرة من الاحتباس الحرارى الذى نعانى منه فى الفترة الأخيرة »(٢).

وعلى الرغم من الدمار الهائل الذى تحدثه البراكين إلا أن لها فوائد جمة منها: المساعدة على تكوين أراض خصبة، بفعل بعض المعادن الموجودة فى الحمم البركانية، بالإضافة إلى حفظ التوازن البيئى عن طريق تشكيل الجبال

يكون ذلك للابتلاء، وفي أحيان أخرى قد تتكشف له بعد فترة زمنية من حدوثها، فيفطن إلى الخير المستبطن في الشر الظاهري.

(١) حديثي -هنا- ينصب على إثبات أن هذه الظواهر على الرغم من كونها تتسبب في أضرار وخسائر مادية وبشرية؛ إلا أنها -في ذاتها- جزء جوهري من النظام الأكمل، الذي وضعه الله تعالى في العالم، أما على الصعيد الآخر من كونها تنفي وجود الإله فهذا من الناحية الفلسفية مرفوض عقلًا؛ لأن فكرة الشر -في حد ذاتها- لا تتنافى مع الإقرار بوجود الإله، حتى مع الافتراض بأن الشر محض لا خير فيه، فلماذا لا يكون الإله شريرًا. وبناء عليه: ربما تنفى بعض صفاته، كالرحمة مثلًا، إذا سلمنا -جدلًا- بأن هذه الظواهر شر محض.

(٢) الدكتور عبد الله بن محمد العمرى: موسوعة العمرى في علوم الأرض -الزلازل والتفجيرات – ص ٦ المجلة العربية للعلوم الجيولوجية، جامعة الملك سعود، طبعة أولى ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م

والهضاب والسهول، كما يمكن الاستفادة من البراكين اقتصاديا؛ حيث إن الينابيع الحارة والفورات المصاحبة للبراكين ينتج عنها الزرنيخ والنحاس والقصدير بالإضافة إلى الأملاح المعدنية ذات القيمة الاقتصادية العالية فى مجال التعدين، كما أن البخار الجوفى فى بعض المناطقالبركانية يستخدم كمصدر للطاقة(١). ومن ثم تكون الزلازل والبراكين جزءا من انتظام الكون، وهى جزء ضرورى لتحقيق التوازن الطبيعى، وليست شرورا محضة.

(١) يراجع للدكتور عبد الله بن محمد العمرى: سلسلة العمرى العلمية –البراكين: مفهومها، أسبابها، تخفيف مخاطرها ص ٣٥ المجلة العربية للعلوم الجيولوجية، جامعة الملك سعود، طبعة أولى ١٤٤٣هـ-٢٠١٣م

المبحث الثالث: المقدمة الكبرى دلائلها، وأهم الشبهات المثارة حولها"

يمكن نظم المقدمة الكبرى لهذا الدليل على صور عدة، منها: «كل منظَّم له منظِّم»، أو: «كل متقَن له متقِن»، أو: «كل مصمَّم له مصمِّم».

أولا: دلائلها.

إن هذه المقدمة الكبرى –لدليل النظام– مقدمة عقلية بدهية؛ فالإنسان العاقل الملاحظ لظواهر النظام والإتقان في العالم يحكم بداهة بأن لها منظِّم متقِن، وبناء عليه: تكون هذه المقدمة من المقدمات البدهية، على غرار قولنا: «كل فعل له فاعل»، والنظام فعل؛ فلا بد له من فاعل.

ولا شك أن هذه المقدمة بُنيت على قانون السببية، القائم على أن هناك سببًا أو علة وراء كل حدث في الوجود، وكل حادث له محدِث.

وهو أمر مركوز في العقل. يقول الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ): «إذا سأل سائل: "فمن أين عرفت هذا؟" فنقول: "إن هذا الأصل يجب الإقرار به؛ فإنه أولى ضروري في العقل"»(١).

ومما هو معلوم لدى الباحثين: أن البدهيات هي القضايا «التي يهجم عليها العقل من غير احتياج إلى تدبر»(٢)؛ فهي أمور تدرك بالعقل مباشرة، بشرط أن يكون هذا العقل صحيحًا، معافى من الاضطرابات السلوكية.

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالي: قواعد العقائد، ص ١٥٣، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) الإمام الجويني: البرهان في أصول الفقه، ص ٣٦، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٥٨هـ/١٩٩٧م.

وقد نبّه المعلم الثاني (الفارابي ت ٣٣٩هـ) إلى أن هذه العلوم الضرورية[١] لا تحصل للإنسان إلا بسلامة العقل من الموانع، فقال: «وليس كل إنسان يُفطَر معدًّا لقبول المعقولات الأُوَل؛ لأن أشخاص الإنسان تحدث بالطبع على قوى متفاضلة، وعلى توطئات متفاوتة، فيكون منهم من لا يقبل بالطبع شيئًا من المعقولات الأُوَل، ومنهم من يقبلها على غير جهتها، مثل: المجانين، ومنهم من يقبلها على جهتها، فهؤلاء هم الذين فطرتهم الإنسانية سليمة»[٢]. وبناء عليه: فالعقلاء ذوو الفهم الجيد هم وحدهم المختصون بإدراك هذه العلوم.

وقد بيّن الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أن السبب الرئيس في الطعن على الأوليات هو تشتت الفطرة السليمة، فقال: «ولا يتشكك في الأوليات إلا بزوال الذهن عن الفطرة السليمة»[٣].

---

(١) ذهب البعض إلى أن البدهي والضروري بمعنى، فيما ذهب آخرون إلى أن بينهما عموم وخصوص؛ حيث إن البدهي تارة «يفسر بأنه: ما لا يحتاج إلى شيء أصلًا، أي: ما يثبته العقل بمجرد التفاته إليه، من غير استعانة بحدس أو غيره، ككون الواحد نصف الاثنين، فيكون أخص من الضروري، فكل بدهي ضروري، لا عكس، وتارة يفسر بأنه: ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال، فيكون مرادفًا للضروري بأحد معنييه؛ فإن الضروري يطلق –تارة– في مقابلة الاستدلال، أي: النظر، ويفسر بما لا يكون تحصيله مقدور للمخلوق، وهذا أخص من الضروري بالمعنى الأول». [الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي: حاشية على شرح الإمام محمد بن منصور الهدهدي على أم البراهين المعروفة بالصغرى للإمام السنوسي، ص ٣٠، مطبعة الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م].

(٢) المعلم الثاني (أبو نصر الفارابي) كتاب السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، ص ٧٤ – ٧٥. تحقيق وتعليق: د. متري النجار، المطبعة الكاثوليكية –بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(٣) الإمام الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، ص ٢٤٧، تحقيق: سليمان دينا، دار المعارف بمصر، طبعة ١٩٦١م.

وأنوّه إلى أنه على الرغم من أن البدهيات أمور لا تحتاج إلى أدلة معها، وأنها أمور قائمة بذاتها، يصدق بها العقل؛ إلا أن بعضًا من ذوي النفوس الضعيفة قصر عقله عن فهم بعض منها، فتشكك فيها، أو أن بعضًا منها من الأمور الخفية، التي تحتاج إلى تنبيه(١)، مما جعل بعض العلماء ينوّهون إلى ضرويتها، وينبهون إليها.

ومما يجب التأكيد عليه: أن مبدأ "السببية" ليس مبدأ حسيًّا مستفادًا من التجربة، بل هو قانون عقلى يفسر العلاقة بين الأسباب والمسببات، ومن ثم فإن «نفي السببية عن الوجود حاجز للعقل البشري عن التفكير والتعامل مع الأفكار، والواقع حاله حال مبدأ "الماهية"، ومبدأ "عدم التناقض"، فبغيرها لا مكان للمعنى والفهم والفعل العاقل في وجودنا»(٢). ومن ثم فمحاولة حصر مبدأ "السببية" في حدود التجربة محاولة بائسة.

ومما يسترعي الانتباه: أن المبدأ القائم على قانون السببية؛ وُظِّف من قِبل كثير من المؤمنين في الاستدلال على وجود الله تعالى، وأخذ أنماطًا وصورًا متنوعة، ومنها: دليل النظام (محل الدراسة)، فالنظام فعل يتطلب وجود فاعل له، غير أن المنكرين لوجود الله قد ظهرت لهم تفسيرات متعددة، في محاولة للهرب من الإقرار والاعتراف بأن هذا النظام الموجود في العالم –عند من يقر بوجوده– له منظِّم خارج عنه، وأثاروا إشكالات على مقدمة الدليل الكبرى: «كل منظَّم له منظِّم». وسوف أعرضها تحت العنوان التالي:

ثانيًا: الشبهات المثارة حولها.

على الرغم من أن مقدمة الدليل الكبرى اعتمدت على السببية، وهو قانون ضروري، لا يحتاج إلى برهان، كما أنه يجب التسليم به؛ لأن الطعن فيه يترتب عليه رفض القوانين العلمية؛ لأن الاعتراف بها مترتب على الاعتراف بالعلاقة بين الأسباب والمسببات، غير أن الملحدين كان لهم توجهات وإشكالات، منها:

---

(١) "التنبيه":"مركب يقصد به: إزالة الخفاء لا الاستدلال". [الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، ص ٨٢، دار المعارف –الإسكندرية].

(٢) د. سامي عامري: فمن خلق الله؟ ص ٣٦.

الشبهة الأولى: مبدأ "السببية" يناقض فكرة الاعتراف بوجود الله.

أ- العرض:

يرى بعض الملحدين أن الاعتراف بمدأ "السببية"، واستخدامه دليلًا على وجود الله؛ يتناقض مع فكرة وجود الله أصلًا، معللين ذلك بأنه إذا كان مبدأ "السببية" مبدأ عامًا ومطلقًا فمن الطبيعي أن يخضع الله له، وإذا تخيرنا أو افترضنا عدم خضوعه لهذا المبدأ فحينئذ لا يصلح مبدأ "السببية" أن يكون قانونًا عامًا يحتكم إليه، ويعرضون هذه الفكرة بصياغات متنوعة.

ومن هؤلاء "برتراند رسل"(١) الذي رأى أن هذه الحجة لا مصداقية لها، موضحًا المغالطة التي تحتوي عليها من -وجهة نظره-حيث يرى أنه إذا «كان ينبغي أن يكون لكل شيء سبب، إذن ينبغي أن يكون للإله سبب، وإذا كان من الممكن أن يكون هناك إله بدون علة أو سبب، يمكن -إذن- أن يكون العالم بدون علة أو سبب، مثل الإله تمامًا»(٢).

(١) برتراند آرثر وليم رسل فيلسوف بريطاني ولد عام ١٨٧٢م، توفى أبواه وهو صغير، فتربى في بيت جده، حصل على البكالوريوس من جامعة "كمبردج" في الرياضيات عام ١٨٩٣م، وآخر في علوم الفلسفة عام ١٨٩٤م، عين أستاذا في كلية "المدينة"في جامعة "نيويورك"ولكنه فصل عنها بسبب احتجاج رجال الدين الذين وسموه بأنه عدو الدين والأخلاق، كان من أشهر علماء المنطق والرياضيات في بداية القرن العشرين، وحاز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٠م، من مؤلفاته: مشاكل الفلسفة، و تحليل العقل، لماذا لست مسيحيا.... وغيرها توفى عام١٩٧٠م [يراجع للدكتور عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلاسفة ج١ ص٥١٦:٥٢٤].

(٢) برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، ص ١٨، ترجمة: عبد الكريم ناصف، دار التكوين -دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

يقول الملحد "أرمين ناوابي"(١): «الإجابة عن سؤال التعقيد بالخلق لن يحل المشكلة، بل سيطرح مشكلة أخرى: إذا كانت كل الأشياء االمعقدة تتطلب وجود خالق ذكي؛ لماذا الخالق نفسه ينطبق عليه هذا الشرط؟ هل جاء هذا الخالق الذكي من قبل خالق ذكي آخر؟ ما الحل؟ ستكون حلقة بلا نهاية»(٢).

فهذا الملحد يعترض على الاستدلال على وجود الله تعالى؛ اعتمادًا على مبدأ "السببية"، فالتعقيد الموجود في العالم –الذي يظهر العناية والإتقان والضبط– لا يدل على وجود متقن مبدع حكيم –من وجهة نظره– معللًا ذلك بخضوع فكرة المتقِن نفسها إلى مبدأ "السببية"، ويتسلل الأمر إلى ما لانهاية.

والغريب في الأمر: أن هذا الملحد يبطل قانونًا من قوانين العقل: «لكل أثر مؤثِّر»، ويستند إلى قانون آخر من قوانين العقل، هو "بطلان التسلسل".

ب- <u>المناقشة:</u>

إن مناقشة هذه الشبهة يعتمد على نقد الفرضية التي قامت عليها، وهي: "أن كل موجود له علة لوجوده"، والتي بُنيت على فهم خاطئ لمبدأ السببية، حيث إنه لم يقرر أن كل موجود له علة، بل قال: "كل حادث" بمعنى: "أن كل مخلوق له خالق"، أو: "كل حادث له محدث"، ومن ثم فالله –تعالى– خارج عن هذه القوانين التي تنطبق على المخلوقات.

---

(١) إيراني كندي، مسلم سابق، له العديد من المدونات، أسس الجمهورية الملحدة عام ٢٠١٢م، وهى منظمة غير ربحية، مقرها كندا، تهدف إلى تمكين غير المؤمنين من التفاعل مع المجتمعات، وهو من مواليد ١٩٨٣م، يعيش في كندا منذ عام ٢٠٠٤م، له كتاب "لماذا ليس هنا إله"، الذي ألفه بالإنجليزية عام ٢٠١٤م، ثم ترجمه إلى العربية عام ٢٠١٩م. [يراجع لرشيد السراي: كتاب لماذا ليس هناك إله لأرمين ناوابي، عرض ونقد، ص ٥ – ٦، إصدار إلكتروني عام ٢٠٢١م].

(٢) أرمين ناوابي: لماذا ليس هناك إله، رد مسبط لأشهر ٢٠ ادعاء بزعم وجود الله، ص ١١، ترجمة: عبد الله أحمد، دار الليبرالية –أربيل –العراق، الجمهورية الملحدة.

وبناء عليه: يكون هذا السؤال الذي يفترضه الملحدون: "من خلق الله؟" متناقض مع العقل؛ إذ كيف يكون الله خالقًا ومخلوقًا في آن واحد!

يضاف إلى ما سبق: أن هذا الافتراض يناقض العقل؛ من ناحية أنه يلزم عنه التسلسل إلى ما لا بداية، بمعنى: أننا إذا جوّزنا السؤال عن الذي خلق الخلق فإننا نجوّز السؤال إلى ما لا بداية، وهذا أمر يرفضه العقل بداهة، فلا بد من الانتهاء إلى سبب أول خالق غير مخلوق.

وقد ناقش علماء الكلام المسلمين مسألة "التسلسل اللانهائي للأسباب"، وبينوا بطلانها من الناحية المنطقية؛ لما يترتب عليه من تناقضات، ومن ثم انتبهوا إلى ضرورة الاعتراف بالمسبب الأول، والوجود الضروري الذي لا يخضع لقوانين الحدوث.

يقول الإمام سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) في إبطال التسلسل: «لو ترتبت سلسلة الممكنات لا إلى نهاية؛ لاحتاجت إلى علة، وهي لايجوز أن تكون نفسها ولا بعضها؛ لاستحالة كون الشيء علة لنفسه ولالعلله، بل خارجًا عنها، فتكون واجبًا، فتنقطع السلسة»(١).

أجل، إن العلامة التفتازاني قد بيّن أن العقل يقضي بوجود سبب أول خارج عن سلسلة السببية، وإلا لأدى هذا إلى تناقض منطقي.

يضاف إلى ما سبق: أن الأحداث إذا كانت ممتدة إلى ما لا، بداية من ناحية الماضي؛ لأدى ذلك إلى عدم وجودها في الوقت الحاضر.

ومما يسترعي الانتباه: أن علماء الإسلام قد صاغوا مبدأ "السببية" صياغة دقيقة، لا يجوز للملحد –عقلًا– الاعتراض عليها. يقول الإمام الغزالي: «كل حادث فلحدوثه

(١) العلامة سعد الدين التفتازاني شرح العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفي، ص ٤١، تحقيق وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية بالقاهرة، طبعة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

سبب»[١]. والحادث هو الموجود بعد أن لم يكن، فالعبارة أكثر تحديدًا، لا يجوز للمعترض هنا أن يطبق نفس المبدأ على الله –حاشاه– لأن المبدأ يطبق على الحوادث فقط.

ولعل هؤلاء قد اختلط عليهم المبدأ القائل: «كل موجود له سبب أو تفسير». ونسجوا على منواله أن الله موجود فلا بد له من سبب؛ لذا نرى علماء الإسلام –لا سيما الفلاسفة– قد أفاضوا في الحديث عن هذا الأمر، مفرقين بين واجب الوجود وممكن الوجود.

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا (ت ٤٢٧هـ): «فكل موجود: إما واجب الوجود بذاته، أو ممكن الوجود بذاته»[٢]. فابن سينا بنى دليله على تأمل حال الوجود، مقسِّمًا إياه إلى: واجب وممكن، وحيث إن الوجود صفة، ومن شأن الصفة أن تتبع الموصوف؛ فلا شك أن واجب الوجود قائم بذاته، لا يستمد وجوده من غيره؛ لذلك عرف الواجب بقوله: «الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال»[٣]. فواجب الوجود –وهو الله سبحانه وتعالى– هو السبب الأول، الذي يفسر كل وجود، وهو الموجود الذي لا يمكن أن يتخلف وجوده.

كما عرف الممكن بأنه: الذي «لا ضرورة فيه، لا في وجوده ولا في عدمه»[٤]. بمعنى: أنه الموجود الذي يمكن أن يوجد ويمكن ألا يوجد، ومن ثم يحتاج إلى من يوجده، أي: إلى سبب خارج عنه، وهو الله تعالى.

---

(١) الإمام الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص ١٥.

(٢) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات مع شرح نصير الدين الطوسي، القسم الثالث، ص ١٩، تحقيق: د. عبد الرحمن أبو عميرة، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

(٣) ابن سينا: النجاة في المنطق والإلهيات، ج ٢، ص ٧٧، تحقيق: د. عبد الرحمن أبو عميرة، دار الجيل –بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

وبناء على ما ذكره ابن سينا، وقرره كثير من فلاسفة الإسلام؛ لا يجوز الاعتراض على مبدأ "السببية" بأنه ينطبق على الله ذاته، ولا يجوز أن يُسأل عن موجده، لأن السؤال حينئذ خارج عن المنطق السليم.

ومن هنا يحق لنا الحكم على علماء الإسلام بأن تناولهم لمبدأ "السببية" يعكس فهمًا عميقًا للوجود، ينطلق من مقدمات صحيحة ومنطق وفهم مستنيرين.

الشبهة الثانية: رد التنظيم إلى ما يعرف بـ "الأكوان المتعددة".

أ- **العرض:**

حاول بعض الفيزيائيين الهرب من الإحكام والإتقان الذي شهدت به نتائج البحوث في مجال الفيزياء الفلكية وغيرها، وما يلزمه من الإقرار بوجود متقِن معدّ لهذا الكون بعناية فائقة، وحاولوا نفي الغائية، مقررين أن كوننا هذا -بما يحويه من مظاهر التنظيم والتدقيق- ليس إلا حالة نادرة من بين عدد كبير من الأكوان المتعددة.

ومن المؤكد أن فرضية الأكوان المتعددة ترى أن كل ما نسميه "كون" هو -في حقيقة الأمر- ليس كذلك، بل إنه جزء ضئيل جدًا من نظام كبير معقد، يعد مجموعة من الأكوان أو مناطق كونية معينة(١).

لقد أخذت فرضية العوالم المتعددة صورًا وأنماطًا مختلفة، كما شُرحت بتفسيرات تتناقض فيما بينها في كثير من الأحيان وتتقارب في أحيان أخرى(٢)، إلا أن جميع

---

(١) يراجع لبول ديفيز: الجائزة الكونية الكبرى، ص ٢٠٧.

(٢) تأتي هذه الفرضية بصيغ وأطروحات مختلفة، منها: ما يعتمد على ميكانيكا الكم، ويعرف بالأكوان الكمية، ومنها ما يعرف بالأكوان الجينية، والذي يستند إلى نظرية التضخم الكوني، وليس الغرض من عرضها بيان كيفية نشأتها -عند القائلين بها -بل الغرض الرئيس مناقشة فكرة الأكوان المتعددة أيا كانت، وهل هي نظرية علمية أم مجرد فرضية؟ وعلى فرض ثبوتها هل تتعارض مع الإيمان بوجود الله؟

أصحاب هذه الفرضية يعمل على تفسير الضبط الدقيق الموجود في عالمنا، بإرجاعه إلى الصدفة، معتقدين أنهم –بهذه الفرضية– يبطلون فكرة "المصمم الذكي".

يقول "ستيفن هوكنج": «إن الضبط الدقيق في قوانين الطبيعة يمكن تفسيره بوجود الأكوان المتعددة، والعديد من الناس –على مر العصور– قد أرجعوا إلى الله جمال وتعقيدات الطبيعة، التي لم يكن لها أي تفسير علمي في عصرهم، لكن مع قيام "داروين"(١) و"ولاس" بشرح كيف أن ما يظهر من تصميم معجز لأشكال الحياة يمكنه أن يظهر دون تدخل أي موجود فوقيّ، فإن مفهوم "متعدد الأكوان" يمكنه أن يفسر الضبط الدقيق للقانون الفيزيائي، دون حاجة لوجود خالق محسّن يقوم بخلق الكون لمصلحتنا»(٢).

أجل، إن هؤلاء يفرون من إلزامات علم الفيزياء، مدعين أنه في ظل وجود عدد كبير جدًا من الأكوان –يرجعه بعضهم إلى بلايين البلايين– فلا غرابة أن يوجد كون مثل كوننا، يتسم بالإحكام والضبط.

يقول "كليفور لونجي": «يوجد ملايين وملايين من الأكوان المختلفة، نشأت بإعدادات مختلفة للنسب الأساسية والثوابت، في الحقيقة هي كثيرة جدًا، فلا بد من ظهور الكون

---

(١) تشارلس داروين: عالم انجليزي، من العلماء الطبيعيين، ولد سنة ١٨٠٩م، درس الطب في أدنبرة، لكنه عكف عنه واتجه إلى دراسة اللاهوت في كمبيردج، اشترك في رحلة حول الأرض استمرت خمس سنوات، جمع خلالها عددًا من الملاحظات التي كانت أساسًا لنظريته التطورية، من أشهر كتبه: أصل الأنواع، توفي سنة ١٨٨٢م. [يراجع للأستاذ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٥١، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة].

(٢) ستيفن هوكنج: التصميم العظيم (إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى)، ترجمة: أيمن أحمد عياد، دار التنوير –لبنان –بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.

المضبوط بشكل صحيح بالصدفة المحضة، نحن أتينا فقط لأننا محظوظون»[١]. وبناء عليه: تكون فرضية "الأكوان المتعددة" صالحة لتعليل وجود كوننا الملائم للحياة.

المناقشة:

إن تعدد الأكوان مجرد مقولة أو فكرة لم تقم على أسس علمية، ولم تخضع لمعايير تجريبية. ومن ثم فإنها تظل فرضية لا ترتقي إلى نظرية متكاملة الأركان، غير أنها قد وُظفت من قِبل الملحدين في محاولة لنقد الضبط الدقيق والنظام البديع؛ برده إلى الصدفة والآلية، ليصلوا إلى إنكار وجود الله تعالى.

وعلى الرغم من استحالة البرهنة على صحتها إلا أنه وجد من تبناها ودافع عنها، وهذا يدل –بما لا يدع مجالًا للشك– على أن الضبط الدقيق يقف حجر عثرة أمام الملحدين.

ومن المؤكد: أن هذه الفرضية لا تخضع لمعايير وأسس علمية، بل على العكس من ذلك؛ هناك أمور تبرهن على بطلانها، منها:

١–أن افتراض عوالم متعددة يناقض ما يعرف بقاعدة "موسى أوكام"[٢] التي تنص على الامتناع عن تقديم افتراضات أكثر لغير ضرورة، فهي لا تجوّز للعلماء افتراض عناصر أكثر لحل معادلتهم، إلاعند العجز عن حل المشكلة بعناصر أقل، ومن ثم ففرضية "الأكوان المتعددة" تخالف هذه القاعدة؛ حيث إنها تقوم على افتراض عدد كثير

---

(١) ستيفن ماير: التدليل على التصميم في الفيزياء والأحياء، من أصل الكون إلى أصل الحياة، ضمن كتاب العلم ودليل التصميم في الكون لستيفين ماير، مايكل بيهي، وليم ديمبكسي، ص ٧١.

(٢) تنسب قاعدة "أوكام" –التي تعرف باسم "شفرة أوكام"أو "نصل أوكام"– إلى الفيلسوف الانجليزي "وليام الأوكامي" في القرن الرابع عشر الميلادي، وترى أنه عند مواجهة تفسيرات متعددة لظاهرة ما؛ يفضل التفسير الأبسط الذي لا يتطلب فرضيات غير ضرورية، فلابد من الاقتصار على أقل عدد من الفروض في تفسير الظاهرة. يراجع للدكتور عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة ج١ ص ٢٥٣

جدًا أو عدد لا نهائي من الأكوان، لمجرد تفسير الضبط الدقيق للكون، في محاولة للتخلص من فرضية واحدة، وهي فرضية "الإله الخالق"(١). ومن ثم فهذه الفرضية تزيد الأمر تعقيدًا.

وقد أبان "ريتشارد سونبيرون"(٢). أن فرضية "المصمم الإله" تعد أبسط وأشمل تفسيرًا من فرضية "الأكوان المتعددة"؛ لأنه يتطلب افتراض وجود شيء واحد كتفسير، وليس أشياء متعددة، تتضمن الضبط الدقيق لمولد الأكوان والعدد اللا نهائي من الأكوان المنفصلة اتفاقًا، كما تتطلبها فرضية "العوالم المتعددة"(٣).

٢-وعلى افتراض وجود عوالم متعددة فلا ينفي ذلك وجود الله تعالى،

بل على العكس من ذلك، فهو يزيد من ضرورة وجود مصمم لهذا العالم؛ حيث إن افتراض تعدد الأكوان يتطلب تحليلًا دقيقًا لكي نبدأ، مثلما حدث على كوكبنا(٤)، كما أن هذه العوالم -سواء أكانت مشابهة أو مخالفة لعالمنا- تحتاج إلى نوع من الضبط الدقيق حتى نستطيع الحفاظ على وجودها بأيّة صورة كانت.

٣-اللجوء إلى فكرة "العوالم المتعددة" للهروب من "التصميم الذكي"

والاعتراف بوجود الخالق؛ إفلاس علمي وخيال محض، بل إن من العلماء المتميزين من شجبها بأشد العبارات، وأغلق عقله عنها، من هؤلاء: "بول شتانيهارت" -أستاذ كرسي

---

(١) يراجع للدكتور سامي عامري: فمن خلق الله، ص ١٦٩.

(٢) فيلسوف بريطاني ولد عام ١٩٣٤م، أستاذ فخرى للفلسفة في جامعة"أكسفورد" على مدار خمسين عاما، من مؤلفاته: كتاب "العقل والدماغ والإرادة الحرة" وكتاب "تطور الروح"، حاز على جائزة"جيمس جويس" ar. m. wikipedia. org

(٣) يراجع لستيفن ماير: التدليل على التصميم في الفيزياء والأحياء من أصل الكون إلى أصل الحياة، ضمن كتاب العلم ودليل التصميم في الكون، ص ٧٤ - ٧٥.

(٤) نورمال ل. جاييلر: فرانك تورك: كتاب لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، ص ١٢١.

"ألبرت أنشتاين" في جامعة "برنستون"- الذي ارتأى أن الفكرة كريهة بكاملها. يقول: «إن هذه الفكرة خطيرة، بحيث إنني ببساطة لا أرغب حتى في مجرد التفكير فيها»(١).

ولا غرابة في أن نجد من بين المدافعين عنها من يعترف بأنها مجرد خيال علمي واسع، لا يخضع لأسس علمية، ولا يقوى أمام النقد، من هؤلاء: عالم الفيزياء النظرية "أندري لند"، وهو أحد أهم المدافعين عن هذه الفكرة، يقول -بعد دفاع مستميت- «بإمكان الواحد بسهولة أن ينسف كل شيء قلته الآن باعتباره تخمينات شاطحة»(٢).

بل إن من العلماء من عدّها «فبركة ميتافيزيقية، وقصة خيالة من قصص الجنيات، تقوم على إيمان أعمى، وهي منفصلة عن الواقع»(٣).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: إذا كانت هذه الفكرة غير مؤيَّدة بأدلة علمية، أو تفسيرات فلسفية قيّمة، حتى حُكم عليها بأنها تعد ضرب من الميتافيزيقيا، وفي المقابل نجد فرضية "الإله المصمم"، وهي فرضية ميتافيزيقية أيضًا؛ فلماذا يتجهون إلى الفرض الأول القائم على التكهن الخالي من الدليل؟

(١) بول ديفيز: الجائزة الكونية الكبرى، ص ٢٣٢.

(٢) د. سامي عامري: فمن خلق الله، ص ١٧٠.

(٣) نورمان ل جايسلر، فرانك تورك: لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، ص ١٢١.

ولعل الإجابة تتلخص فيما ذكره العالم "باسكال"(١) حينما أكد أن مشكلة البعض ليست في الأدلة والبراهين، بل فيما يعرف بـ "إرادة الإلحاد"(٢).

وأخلص مما سبق إلى أن عدم قابلية هذه الفرضية للاختبار والتجريب؛ يفقدها الاتصاف بالعلمية، ومن ثم يسقط القناع ويكشف اللثام عن حقيقتها، فهي لا تعدو كونها تكهنًا ميتافيزيقيًّا غير مدعوم بأدلة، ومن ثم فهي غير قادرة على الوقوف أمام "برهان النظام"، ولا تقلل من قيمته في الاستدلال على وجود الله تعالى.

الشبهة الثالثة: رد التنظيم إلى التطور البيولوجي العشوائي (٣).

أ- <u>العرض:</u>

تعد نظرية "التطور الداروينى" المرتكز الأساس لكثير من الملحدين؛ حيث يجعلون منها حجة قوية -على حد زعمهم- في مقابلة "برهان النظام" بصورته الجديدة، وهو ما

---

(١) عالم فيزياء، ولد بفرنسا عام ١٦٢٣م، تلقى تعليمه الأوّلي على يد والده، الذي اهتم كثيرًا به، اخترع الآلة الحاسبة، اشتهر بحساب الاحتمالات وأتقنه، كما أدت بحوثه وتجاربه على السؤائل والفراغ والضغط الجوي إلى اختراع البارومتر. من مؤلفاته: كتاب الخواطر، وكان يدافع عن الإيمان، ويرى أن الحقيقة العلمية تؤكد ضرورة الخضوع لله. توفي عام ١٥٥٢م. [لمزيد من التفصيل يراجع لمجموعة من العلماء: الموسوعة العربية العالمية، المجلد الرابع، ص ٩٩، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٠م، ويراجع للأستاذ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٨٩ -٩٧].

(٢) هذا المصطلح يشير إلى أن السبب الرئيس في الإلحاد قد ينبع من رغبة شخصية لدى الملحد، حيث تدفعه أهواؤه الشخصية إلى الإلحاد.

(٣) سوف أعرض -هنا- لنظرية "التطور العشوائي"، وأناقشها بصورة إجمالية؛ لأن الغرض من ذكرها استكمال لأهم الشبهات المثارة حول "برهان النظام"، وسوف أركز على الناحية المتعلقة بالنظم والتعقيد والاعتراض على تفسيره؛ لأن تفصيلات هذه النظرية ومناقشة الدعائم التي تستند إليها؛ يحتاج إلى دراسة مستقلة، وقد عني كثير من الباحثين بتناول جوانبها.

يعرف بـ "التصميم الذكي"، ويعدونها واحدة من أهم نظريات الأحياء منذ أن صاغها "تشارلز داروين" في كتابه "أصل الأنواع"(١).

فأصحاب هذا الاتجاه يرون أن التطور العشوائي غير الموجّه يقف حجر عثرة أمام "برهان النظم" المبني على التصميم الدقيق، ويعزون إلى الداروينية الفضل في كشف وهم التصميم في الكائنات الحية.

يقول "دوكينز": «بعد داروين علينا جميعًا أن نشعر عميقًا فى عظامنا بالشك في نظرية "التصميم" ذاتها، الوهم عن التصميم هو فخ وقعنا فيه من قبل، ويفترض داروين أعطانا المناعة ضده، برفع مستوى وعينا، والأمل أن يكون قد نجح في ذلك مع الجميع»(٢).

إن أصحاب "التطور العشوائي" يفسرون تنوع الأحياء نتيجة الطفرات الجينية العشوائية، والانتقاء الطبيعي؛ حيث يؤكدون أن «الأنواع الحية لم تخلق بصورة مستقلة عن بعضها، ولكنها قد انحدرت –مثلما حدث للضروب– من أنواع أخرى»(٣). ولا شك أن هذا الانحدار يتم عشوائيًا.

---

(١) أول ترجمة لهذا الكتاب إلى اللغة العربية قام بها الأستاذ إسماعيل مظهر (ت ١٩٦٢م)، وذلك في النصف الأول من القرن العشرين، وكان له دور بارز في معالجة كتابات "داروين" بالترجمة ونقل الفكر الغربي إلى العالم العربي. [يراجع لتشارلس داروين: أصل الأنواع، هامش ص ٥١، ترجمة: يحيى محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، المشروع القومي للترجمة (٦٢٨) الطبعة الأولى ٢٠٠٤م].

(٢) دوكينز: وهم الإله، ص ٥٦.

(٣) تشارلز داروين: أصل الأنواع، ص ٥٧.

وبناء عليه: «فالتغييرات التطورية تتم بآليات مادية خالصة، ولا تفتقر إلى توجيه ذكي، ويعتبر الذكاء –وفق هذه النظرة– حالة ناتجة عن التطور بدلًا من أن تقوده»(١).

ومما يجب التنويه عليه: أن هناك فروقًا بين أن يكون التصميم ناتج عن التطور وأن يكون التطور آلة أو وسيلة للتصميم؛ فالحالة الأولى خالية من الغائية والهدفية، وتتم بطريقة آلية مادية عشوائية، لكن الحالة الثانية تدل على الغائية، ويعترف أصحابها بوجود قوة تقود عملية التطور نحو غايات وأهداف محددة، ومن ثم يرى البعض أنه لا تعارض بينها وبين الدين(٢).

إن هذه العمليات العشوائية تؤدي إلى تنوع وتكيف الكائنات الحية مع ظروف البيئة المختلفة، مما ينتج عنه أنواع جديدة، ومن ثم فإن الانتقاء الطبيعي كان أهم طريق لإحداث التغيير. الأمر الذي جعل "كارل ساغان"(٣) يقرر أن الطبيعة وحدها هي التي

---

(١) وليام ديمبكسي وجون ناثان: تصميم الحياة (أكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية)، ص ٢٢، ترجمة: د. موسى إدريس، ود. مؤمن الحسن، ود. محمد القاضي، مراجعة: أحمد يحيى، وعبد الله الشرقاوي، دار الكتاب للنشر والتوزيع –مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

(٢) تُعرف هذه الفكرة باسم "التطور الموجّه"، وهى رؤية تجمع بين الخلق الإلهي وفكرة التطور، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الله تعالى هو الذي وجّه هذه العملية لتؤدي غاية معينة، ويرون أنه لا تعارض بينها وبين النصوص الدينية، ومن أشهر المؤيدين لهذه الفكرة: الدكتور عمرو شريف، وله كتابات في هذا المجال، منها: رحلة عقل، كيف بدأ الخلق. ومنهم أيضًا: الدكتور كريم حسنين، في كتابه: الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية، والدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، وغير هؤلاء كثير.

(٣) كارل ساغان: عالم فيزيائي أمريكي، ولد سنة ١٩٣٤م، وتوفي سنة ١٩٩٦م، حصل على الدكتوراة في علم الفلك والفيزياء الفلكية، عمل في جامعة هارفرد، وبعدها انتقل إلى جامعة كورنيل سنة ١٩٧١م، من مؤلفاته: كوكب الأرض، عالم تسكنه الشياطين، الكون، تأملات عن تطور ذكاء الإنسان، رومانسية العلم.
.[http://ar2 wikipedia. org/wiki/]

أنتجت الكائنات الحية، مستندًا إلى ما يقوم به الإنسان من تهجين للنباتات والحيوانات، وفقًا لمصلحته، فيقول: «إذا كان الناس قادرين على توليد أنواع جديدة من النباتات والحيوانات؛ ألا يجد بالطبيعية أن تفعل أيضًا هذه العملية الأخيرة، التي تعرف بـ "الانتقاء الطبيعي"»(١).

إن فكرة الانحدار مع التغيير أو التغير التدريجي –التي يقول بها التطوريون– تعتمد عندهم على وجود سلف مشترك للكائنات الحية، مؤيدين ذلك بوجود التشابهات الكبيرة بين أنواع مختلفة.

يقول جوناثان ويلز(٢): «التطور الحيوي يعني أن الكائنات الحية لها أسلاف مشتركة، ومع مرور الزمن تتسبب التغيرات التطورية في ظهور أنواع جديدة، وقد سمى داروين هذه العملية بالانحدار مع التغير»(٣).

وبناء عليه: يكون التدرج في التغير أو التغيير التدريجي مبدأ محوريًّا في نظرية التطور، وهو أحد الأسس الرئيسة التي تبنى عليها.

ومما يثير الدهشـــة: أنه على الرغم من أن نظرية التطور نظرية بيولوجية تقدم تفســـيرًا للحياة وتطور الكائنات الحية، دون الحاجة إلى القول بالمصـــمم–من وجهة نظرهم– إلا أننا نلاحظ أن كثيرا من الملحدين يحاولون تعميمها على الكون كله؛ حيث

---

(١) كارل ساغان: الكون، ص ٤٠، ترجمة: نافع أيوب، مراجعة محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)، طبعة سنة ١٩٩٣م.

(٢) عالم بيولوجي أمريكي، ولد عام ١٩٤٢م، حاصل على الدكتوراة في البيولوجيا الخلوية والجزئية من جامعة كاليفورنيا، بالإضافة إلى الدكتوراة في الدراسات الدينية من جامعة بال. رفض المشاركة في الجيش في حرب فيتنام حين استدعاه الجيش سنة ١٩٦٨م، وفضل دخول السجن، من أشهر المنظرين لنظرية التصميم الذكي، من مؤلفاته: أيقونات التطور. [ar. wikipedia./wiki].

(٣) جوناثان ويلز: أيقونات التطور علم أم خرافة، ص ٥، ترجمة: د. موسى إدريس، د. محمد ماضي، د. محمد القاضي، مراجعة وتقديم: عبد الله الشورى، دار الكتب بمصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

يرون أن الكون يتطور بشكل طبيعي، وفقًا لقوانين الفيزياء والكيمياء، دون الحاجة إلى افتراض مصمم.

يقول دوكنز: «الفهم الكامل للانتخاب الطبيعي يشجعنا أن نطبقه بجرأة في فروع أخرى»(١).

أخلص مما سبق إلى أن أصحاب القول بالتطور العشوائي ينفون القول بوجود مصمم ذكى، ويعتقدون أن هذه النظرية التي قدمها داروين قد قضت على نظرية "التصميم الذكي"، وقوضت أركانها، مؤكدين على «أن مظاهر التصميم موهِمة؛ لأن الآليات التطورية –كالانتخاب الطبيعي – كافية لتفسير التعقيد المشاهد في الكائنات الحية»(٢). وهو ما لا يقبله خصوم النظرية، داعمين رفضهم إياها بأدلة قوية، وهو ما سوف أتناوله تحت العنوان التالي:

ب– <u>المناقشة:</u>

على الرغم من أن نظرية "التطور العشوائي" تعد من أكثر النظريات شيوعًا في عالم البيولوجيا؛ إلا أنها لم تسلم من النقد، فقد واجهت اعتراضات قوية، لا سيما مع تقدم الكيمياء الحيوية(٣)، وتطور علم الوراثة، الذي دعا كثيرا من العلماء إلى ضرورة مراجعة نظرية التطور في ظل تطور الكيماء الحيوية.

---

(١) دوكنز: وهم الإله، ص ٥٧.

(٢) وليم ديمبسكى، جوناثان ويلر: تصميم الحياة ص١٦ من المقدمة التي سطرها أ. بيل رئيس مركز الفكر والأخلاق

(٣) "الكمياء الحيوية: تعنى بدراسة الأسس المطلقة للحياة، الجزئيات التي تشكل الخلايا والنسج، وتحفز التفاعلات الكيميائية للهضم والاصطناع الضوئي والمناعة وأمور أخرى." [مايكل بيهي: صندوق =

يقول مايكل بيهي: «إن بداية الكيمياء الحيوية الحديثة جاءت بعد انطلاق الدارونية الجديدة بشكل رسمي، وعليه: فكما كان على البيولوجيا أن يعاد تفسيرها بعد اكتشاف تعقيد الحياة المجهرية؛ فكذلك يجب إعادة النظر في الدارونية الجديدة في ضوء التقدم الحاصل في الكيمياء الحيوية»(١).

وبناء عليه: فقد وجهت انتقادات قوية إلى نظرية "التطور العشوائي"، كما نوقشت أدلتهم التي لا تتعدى كونها احتمالات وفرضيات، سواء ما يتعلق منها بالتشابهات الجينية، أو الحفريات، أو التجارب المختبرية، أو غيرها.

ومن أشهر هذه الاعتراضات: ما يتعلق بتفسير "التعقيد" وفقًا لنظرية "التطور العشوائي"؛ «فلا يمكن أن تخلق الدقة والتعقيد والإحكام في كائن واحد، فضلًا عن ملايين الأنوع من الكائنات الحية على سطح الأض، لكن نتيجة للخداع والتدليس – خصوصًا في استعمال المصطلحات– قليل جدًا من الناس ينتبه لحقيقة أن اكتشاف شريط (DNA) قد أظهر هشاشة وعبثية نظرية "التطور"»(٢).

داروين الأسود (تحدي الكيماء الحيوية لنظرية التطور)، ص ٢١، ترجمة: د. مؤمن الحسن وآخرين، مراجعة: أحمد يحيى، عبد الله الشهري، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م].

(١) مايكل بيهي: صندوق داروين الأسود، ص ٤٢ – ٤٣.

(٢) د. هشام عزمي: التطور الموجه بين العلم والدين، ص ٢٧، مراجعة لغوية: محمد عادل، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

لقد عجزت الدارونية عن وضع تفسير لكيفية خلق جزئيات (DNA) بالغة التعقيد، لا لفرد واحد، بل لملايين من أفراد الكائنات الحية، عن طريق التغييرات العشوائية عبر سلسلة الحوادث المختلفة(١).

لقد أكد علماء البيولوجيا أن بعض الأنظمة البيولوجية تحمل من التعقيد البالغ والدقيق جدًا ما يستحيل تفسيره بالتطور التراكمي؛ لأن كل جزء فيه يحمل في منظومة كاملة، بحيث إذا أزيل هذا الجزء ترتب عليه توقف الكل.

وقد أطلق عليه العلماء مسمى "التعقيد غير القابل للاختزال"، ويعرفونه بأنه: «نظام مفرد، يتألف من عدد من الأجزاء المتوافقة والمتفاعلة المساهمة في وظيفة أساسية، وعند إزالة أحد هذه الأجزاء يؤدي ذلك إلى توقف فعلي لوظيفة النظام»(٢).

ويضرب مايكل بيهي مثالًا لبطلان التطور التدريجي –الذي فسر به داروين مظاهر التعقيد في الكائنات الحية– بالعين، فيقول: «التطور التدريجي للعين البشرية مستحيل بطريق ما؛ لوجود العديد من المظاهر المعقدة التي بدت غير معتمدة على بعضها البعض»(٣).

لقد أكد بيهي أن «كل الخطوات التشريحية والبنيوية –التي اعتقد داروين أنها بسيطة– هي في الواقع عمليات بيوكيميائية معقدة بشكل مذهل، ولا يمكن التحايل عليه بحيل لغوية»(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.
(٢) مايكل بيهي: صندوق داروين الأسود، ص ١٩٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٤.
(٤) المرجع السابق، ص ٤٠.

إن نظرية داروين التطورية فشلت في تفسير أصل الآلات الجزئية المعقدة في الأنظمة الحية، وخير مثال على ذلك: المحرك الداروني الذي يعمل بالأيونات، كما قال بيهي، والذي يحرك ما يشبه السوط في بعض البكتريا، فقد أوضح أن الآلية في هذا المحرك الجزيئي تتطلب تداخلًا متناسقًا بين أربعين جزءًا معقدًا من البروتين، بحيث إذا اختفى جزء توقف المحرك عن العمل تمامًا. وبناء عليه: فهذا التعقيد يستحيل أن يكون تدريجيًا، وفقًا لما قرره داروين(١).

يضاف إلى ما سبق: أن الانفجار "الكامبري" يشهد ببطلان التغير التدريجي، حيث ظهر العديد من الأنواع في سجل الحفريات فجأة دون أي سلف، وكثير من الحفريات التي تم اكتشافها –لا سيما في كندا– ليس لها أسلاف معروفة(٢).

ومن المؤكد أن حدث الانفجار "الكمبري" مثّل –ولا يزال– معضلة، وتحديا للتطوريين، مما جعل نظرية "التطور الداروينى" في أزمة؛ إذ كيف يفسر ظهور طبقة كبيرة من الكائنات متعددة الخلايا ومتناهية التعقيد في السجل الأحفوري دون سلف لها، وفقًا لنظرية التطور الداروينى(٣).

---

(١) يراجع لستيفن ماير: التدليل على التصميم في الفيزياء والأحياء من أصل الكون إلى أصل الحياة، ص ٧٧ – ٧٨، ضمن كتاب العلم ودليل التصميم في الكون.

(٢) يراجع للدكتور هشام عزمي: التطور الموجه بين العلم والدين، ص ١٩ – ٢٠.

(٣) يراجع للدكتور سامي عامري: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، ص ٥٠٩:٥٠٧. ولمزيد من التفصيل حول حدث الانفجار الكامبري، ومناقشته يراجع للدكتور ستيفن ماير: شك داروين (النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذي) ترجمة: د. موسى إدريس، د. مؤمن الحسن، وآخرين. الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

كما أن علم التشـريح أضـاف نقدًا آخر إلى جملة الانتقادات التي تشـهد ببطلان التغيير التدريجي للدارونية؛ حيث إن هناك عددًا من الأنواع الحية لا يمكن إيجاد سلف تطوري لها؛ بسبب خصائصها التشريحية الفريدة، وفائقية التعقيد فيها؛ فالزرافة –مثلًا– تتميز بخواص فريدة في القلب والرقبة وباقي أعضائها، هذه الخصائص مكنتها وسهلت لها الهبوط برأسـها لأسـفل حين شـرب الماء دون أن تختنق، وأن تنفجر الدورة الدموية للمخ عن طريق آليات فسيولوجية لا شبيه لها في كائن آخر، مما يشهد بأنها لا سلف لها(١).

أستنتج مما سبق: أن نظرية "التطور العشوائي" تعرضت لانتقادات جادة من علماء متخصـصـين، أفقدتها حيويتها في المجال العلمي، وكشـفت الكيمياء الحيوية –في فروعها المختلفة– عن عقمها وفشـلها في تقديم تفسـير شـامل لتطور الكائنات الحية، ويبقى أن مسألة التعقيد الدقيق للكائنات تستدعي وجود مصمم.

وبهذا أكون قد انتهيت من عرض أهم الإشـكالات المثارة حول برهان النظام ومناقشتها، وسوف أنتقل للحديث عن خاتمة البحث والتى تتضمن أهم نتائجه.

(١) يراجع للدكتور هشام عزمي: التطور الموجه بين العلم والدين، ص ١٩.

الخاتمة

أهم النتائج:

انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها:

١- أن جوهر "برهان النظام " -عند فلاسفة الإسلام ومتكلميه- لم يختلف كثيرًا عما عرف به حديثًا في العلوم التجريبية، تحت عناوين جديدة، مثل: "التصميم الذكي"، و"الضبط الدقيق". غاية ما في الأمر أن الكشوف والمستجدات العلمية زادت من قوته وتدعيمه، مما يشهد لتجدده وصلاحية الاستدلال به، كما يشهد ببطلان دعوى جمود علم الكلام الإسلامي وعدم مواكبته للعصر.

٢- أن الملحدين الجدد بنوا إشكالاتهم على "برهان النظام" وإنكار الاستدلال به على وجود الله تعالى؛ على نفس الدعائم التي استند إليها المنكرون قديمًا، وإن كانوا قد كسوها أثوابًا جديدة، وصاغوها في صياغات حديثة.

٣- ما أثاره الملحدون المنكرون لدليل النظام لا يعدو كونه فرضيات واحتمالات عقلية تفتقر إلى الأسس العلمية والبراهين المنطقية.

٤- بطلان ما ادعاه الملحدون من أن العلوم الحديثة تدعم الفكر الإلحادي، وتقدم تفسيرات متكاملة للكون والحياة، بعيدة عن الاعتراف بوجود الله تعالى.

٥- "برهان النظام" له مكانة رفيعة في الحوار الفلسفي المعاصر، وفى الوقت نفسه يعكس التطور التاريخى للفكر الدينى والفلسفى والعلمى، وعلى الرغم من الإشكالات التي أثيرت حوله إلا أنه ظل قويًّا في مواجهة الفكر الإلحادي.

٦- يعد برهان النظام من الموضوعات التى تسهم فى بناء النظرة التكاملية للعلوم، وتعكس الأثر الفعال للدراسات البينية، وتقيم جسور التواصل بين الدين والفلسفة والعلم.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*- ابن رشد: العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد.

١- مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم: د/ محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

*- ابن سينا: الشيخ أبو على الحسن بن عبد الله بن الحسن بن على

٢- الإشارات والتنبيهات مع شرح نصير الدين الطوسي، القسم الثالث، تحقيق: د/ عبد الرحمن أبو عميرة، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة. وكذا تحقيق الدكتور سليمان دنيا.

٣- النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: د. عبد الرحمن أبو عميرة، دار الجيل -بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

*ابن منظور: العلامة محمد بن مكرم بن على أبو الفضل

٤- لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

*- الأشعري: الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل

٥- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تحقيق: حمودة غرابة، مطبعة مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

*- البخاري: الإمام محمدبن إسماعيل أبو عبد الله.

٦-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة.

*- بدوى: الدكتور عبد الرحمن.

٧- موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

*- البغدادى: العلامة أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت ٣٣٧هـ)

٨- نقد الشعر، مطبعة الجوانب -قسطنطينية، الطبعة الأولى ١٣٠٢هـ

*- بنروز: الدكتور روجر

٩- العقل والحاسوب وقوانين الفيزياء، تصدير: مارتن غارونر، ترجمة: محمد وائل الأتاسي ود. وسام المعصراني، مراجعة: د. محمد المرایاني، دار طلائع للدراسات والترجمة والنشر -دمشق، الطبعة السادسة ١٩٩٨م.

*بولكينهورن: جون
١٠- المبدأ الإنساني وجدل العلم والدين، ترجمة: حسن البلوشي، مجلة الاستغراب، المجلد ٤، العدد ١٣، لعام ٢٠١٨م.
*- بيهى: الدكتور مايكل.
١١- صندوق داروين الأسود (تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور)، ترجمة: د. مؤمن الحسن، د. أسامة إبراهيم، د. زيد الهبري وآخرين، مراجعة: د. محمد يحيى، د. عبد الله الشهري، دار الكتاب -مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
*- بيهي، وليم ديميكسي، ستيفن ماير.
١٢- كتاب العلم ودليل التصميم في الكون، ترجمة: رضا زيدان، مكتبة مؤمن قريش بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
*- التفتازانى: العلامة مسعود بن عمر.
١٣_ شرح العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفي، تحقيق وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية بالقاهرة، طبعة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
*- ثابت: الدكتور عدي نعمان
١٤-إشكالية الشر عند الملاحدة المعاصرين وأثرها في نفي وجود الإله، دراسة عقدية نقدية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد ٣١
*الثعلبي: الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ).
١٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة الأستاذ: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
*- جايسلر: نورمال، فرانك تورك
١٦-لا أملك الإيمان الكافي للإلحاد، ترجمة: ماريال كتكوت، تحرير عصام خليل، دار الإخوة للنشر بمصر، الطبعة العربية الأولى ٢٠١٧م.
*- الجرجانى: العلامة على بن محمد بن على.
١٧- كتاب التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، دا رالكتب العلمية -بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
*- الجسر: الشيخ نديم.

١٨- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، دار العربية -بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.
*- الجوينى: الإمام أبو المعالي.
١٩-البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٥٨هـ/١٩٩٧م.
*- داروين: تشارلس
٢٠- أصل الأنواع، هامش، ترجمة: يحيى محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، المشروع القومي للترجمة (٦٢٨) الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
*- الدمرداش: الدكتور صبري.
٢١-للكون إله (قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور)، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
*- ديفيز: الدكتور بول
٢٢- التدبير الإلهي: الأساس العلمي لعالم منطقي، ترجمة محمد الجوارا، مراجعة: د. جهاد ملحم، دار الحصاد -سوريا -دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٢٣- الجائزة الكونية الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة. ترجمة: د. سعد الدين خرفان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب -دمشق، طبعة ٢٠١١م.
٢٤ - عالم الصدفة، ترجمة: فؤاد الكاظمي، مراجعة: د. خالد ناجي، سلسة المائة كتاب، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشئون الثقافية ببغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٢٥- القوى الأربع الأساسية في الكون، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة: جلال عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) الطبعة الأولى ٢٠٠٢م
٢٦- بول ديفيز، ونيلز هتريك، وجريجرسن: المعلومات وطبيعة الواقع من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ترجمة: سارة ياقوت، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، طبعة عام ٢٠٢٣م
*- الرازي: العلامة أحمد بن فارس بن زكريا.
٢٧- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٤٣٩هـ/١٩٧٩م. وللعلامة ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
*- الرازي: العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الفخر الرازي.
٢٨- المطالب العالية من العلم الإلهي. تحقيق: د/أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي - بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٩- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ
*- راسل: برتراند.
٣٠- لماذا لست مسيحيًا، ترجمة: عبد الكريم ناصف، دار التكوين -دمشق -بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
*- رمضان: الأستاذ محمد خير.
٣١- تكملة معجم المؤلفين وفيات ١٣٩٧ - ١٤١٥هـ.
*- الزبيدي: العلامة محمد بن محمد بن عبد الرازق.
٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الهداية.
*- ساغان: كارل.
٣٣- الكون، ترجمة: نافع أيوب، مراجعة محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)، طبعة سنة ١٩٩٣م.
*- السبزواري: ملا هادي.
٣٤- شرح المنظومة قسم المنطق المسمى باللئالئ المنتظمة، شرح وتعليق: آية الله حسن حسن زادة الآملي، مؤسسة حروقحينى بإيران.
*- ستينجر: الدكتور فيكتور جون
٣٥- "الله" الفرضية الفاشلة (كيف يثبت العلم عدم وجود الله) ترجمة وتقديم: د. كمال الطاهر، طبعة ٢٠١٢م
*- السجاعي: الشيخ أحمد.
٣٦- الجواهر المنتظمات في عقود المقولات، وهو شرح نظم المقولات العشر، ومعه حاشية الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
*- السراي: الأستاذ رشيد.
٣٧ - كتاب لماذا ليس هناك إله، لأرمين ناوابي، عرض ونقد،، إصدار إلكتروني عام ٢٠٢١م.
*- سلامة: ميرفانا ياسر.
٣٨-معجم الفيزياء "التعريفات العلمية"، الجامعة الأردنية، دار صفاء -عمان، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
*- السنوسي: الشيخ أبوعبد الله محمد بن يوسف.

٣٩- عمدة أهل التوفيق والتسديد، شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، طبعة الحلبي الأولى ١٣٥٤هـ/١٩٢٦م، وعليها حواشي على شرح الكبرى للشيخ الحامدي.
*- الشرقاوي: الشيخ عبد الله بن حجازي.
٤٠- حاشية على شرح الإمام محمد بن منصور الهدهدي على أم البراهين، المعروفة بالصغرى للإمام السنوسي، مطبعة الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
*- شريف: الدكتور عمرو.
٤١- رحلة عقل، تقديم: د. أحمد عكاشة، مكتبة الشروق، عام ٢٠١١م
*- الطائي: الدكتورمحمد باسل.
٤٢- خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٤٣- صيرورة الكون (مدارج العلم ومعارج الإيمان)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، طبعة ٢٠١٠م
*- طرابيشي: الأستاذ جورج.
٤٤-معجم الفلاسفة، دار الطليعة -بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.
*- عبد الحميد: الشيخ محمد محيي الدين.
٤٥- رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، دار المعارف -الإسكندرية.
*- العجيري: الشيخ عبد الله بن صالح.
٤٦ - شموع النهار (إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي)، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثالثة ١٤٣٩/٢٠١٨م.
*عزمي: الدكتور هشام.
٤٧- التطور المُوجَّه بين العلم والدين، مراجعة لغوية: محمد عادل، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
*- العمرى: الدكتور عبد الله بن محمد.
٤٨- موسوعة العمرى في علوم الأرض -الزلازل والتفجيرات، المجلة العربية للعلوم الجيولوجية، جامعة الملك سعود، طبعة أولى ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م
٤٩- سلسلة العمرى العلمية، البراكين: مفهومها، أسبابها، تخفيف مخاطرها، ص ٣٥ المجلة العربية للعلوم الجيولوجية، جامعة الملك سعود، طبعة أولى ١٤٤٣هـ-٢٠١٣م.
*- الغزالي: الإمام أبو حامد محمد.

٥٠- محك النظر في المنطق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان.
٥١- معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: سليمان دينا، دار المعارف بمصر، طبعة ١٩٦١م.
٥٢- مجموعة رسائل الإمام الغزالي، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
٥٣-قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب -لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
*- غليك: حايمس.
٥٤-نظرية الفوضى علم اللامتوقع، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي -بيروت -لبنان، بالاشتراك مع مركز الباطين للترجمة بالكويت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
*- الفارابي: المعلم الثاني أبو نصر.
٥٥- كتاب السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات، تحقيق وتعليق: د. متري النجار، المطبعة الكاثوليكية -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٤م
*- قديح: مصطفى نصر.
٥٦-الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مركز دلائل بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.
*- كرم: الأستاذ يوسف.
٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة.
*- كريغ: الدكتور وليام لاين.
٥٨-مسألة وجود الله، مناظرة وليام لاي كريغ بيير مليكان، أدار المناظرة: كارل شين، ترجمة: مريم شحوري، مراجعة: هيئة الترجمة والتحرير، مجلة الاستغراب، العدد ٧، عام ٢٠١٧م.
*- الكندي: العلامة أبو يوسف يعقوب بن اسحاق.
٥٩- رسائل الكندي الفلسفية (رسالة الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد)، تحقيق: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
*- لبيب: الأستاذ سامي.
٦٠- نظريتي في فهم ماهية النظام والعشوائية، الحوار المتمدن، العدد ٥٧١٧، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٤م.

٦١- وهْم المصمم وتهافت نظرية التصميم الذكى، الحوار المتمدن، العدد ٥٧٥٤، بتاريخ ٢٠١٨/١/١١م.
*- لينوكس: الدكتور جون.
٦٢- العلم ووجود الله، هل قتل العلم الإيمان بوجود الله، ترجمة: مارينا كتكوت. تحرير: د. سامح فكري حنا، تقديم: د. ماهر صموئيل، نشرد: ثريد ولوجس.
*- المالكي: الأستاذ كاظم.
٦٣- آراء بعض الحداثيين الإلحادية، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث بالعراق، العدد السادس، السنة الثانية ٢٠١٩م.
*- ماير: الدكتور ستيفن.
٦٤- شكّ داروين (النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذي) ترجمة: د. موسى إدريس، د. مؤمن الحسن، وآخرين. الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
*- مجاهد: الدكتور عماد.
٦٥- معجم علوم الفضاء والفلك، مكتبة غريب طوس الإلكترونية.
*- مجموعة من العلماء.
٦٦ - الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من الأساتذة الأمريكيين، بمناسبة السنة الأولى لطبيعيات الأرض، تحرير: جون كلومر موتسيما، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة: د. محمد جمال الفندي، دار العلم.
*- مجموعة من العلماء
٦٧- معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية بدمشق -سوريا ١٤٦٣هـ/٢٠١٥
*- مجموعة من العلماء
٦٨- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٠م.
*- محمود: الدكتور عبد الحليم
٦٩- فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٤م.
*- المزوغي: محمد
٧٠- تحقيق ما للإلحاد من مقولة، مكتبة الفخر الجديد، منشورات الجمل -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
*- ناثان: جون، و وليام دمبكسي

٧١- تصميم الحياة (اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية)، ترجمة: د. موسى إدريس، ود. مؤمن الحسن، ود. محمد القاضي، مراجعة: أحمد يحيى، وعبد الله الشرقاوي، دار الكتاب للنشر والتوزيع -مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م
*- ناوابي: أرمين
٧٢- لماذا ليس هناك إله، رد مسبط لأشهر ٢٠ ادعاء بزعم وجود الله، ترجمة: عبد الله أحمد، دار الليبرالية -أربيل -العراق، الجمهورية الملحدة.
*- النجم: الدكتور فياض عبد اللطيف والدكتورعبد الحميد علي العبد.
٧٣- النظرية الحركية للغازات والميكانيك الإحصائي- ١٩، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالعراق، الطبعة الأولى.
*- هوكينج: الدكتور ستيفن
٧٤- موجز تأريخ حياتي (سيرة ذاتية)، ترجمة وتقديم: لطيفة الديلمي، مع تقديم خاص للدكتور. ريمون نجيب شكوري، أشور بانيبال للثقافة، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
٧٥- تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار التنوير للطباعة والنشر -بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
٧٦- التصميم العظيم (إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى)، ترجمة: أيمن أحمد عياد، دار التنوير -لبنان -بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
*- هيوم: ديفيد
٧٧-محاورات في الدين الطبيعي، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.
*- واصف: الدكتور رأفت كامل
٧٨- فيزياء المادة والديناميكا الحرارية، دار النشر للجامعات بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
*- ويلز: جوناثان
٧٩- أيقونات التطور علم أم خرافة، ترجمة: د. موسى إدريس، د. محمد ماضي، د. محمد القاضي، مراجعة وتقديم: عبد الله الشورى، دار الكتب بمصر، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
*- الهادي: الأستاذ جعفر
٨٠- الله خالق الكون، دراسة علمية حديثة للمناهج والنظريات المختلفة حول نشأة الكون ومسألة الخالق، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة سيد الشهداء العلمية -إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:-..... ٥١
مقدمة:..... ٥٣
أولًا: أهمية البحث. ٥٤
ثانيًا: أسباب اختياره. ٥٥
ثالثًا: إشكالية البحث..... ٥٥
رابعًا: أهداف البحث. ٥٦
خامسًا: منهج البحث. ٥٦
خامسًا: مكونات البحث..... ٥٦
المبحث الأول: تقرير الدليل وأهم خصائصه ٥٧
أولًا: مفهوم "النظام"..... ٥٧
ثانيًا: تقرير الدليل ٦٠
ثالثًا: أهم خصائصه. ٦٤
المبحث الثانى: المقدمة الصغرى "دلائلها وأهم الشبهات المثارة حولها"..... ٧٣
أولًا: دلائلها. ٧٣
ثانيًا: أهم الشبهات المثارة حولها..... ٨٥
الشبهة الأولى: الحكم على العالم بالنظام من الوهميات..... ٨٥
الشبهة الثانية: استحالة الحكم على العالم بالنظام لاستحالة المقارنة. ٩٠
الشبهة الثالثة: الفوضوية والعشوائية الموجودة في العالم تلغي الحكم عليه بالنظام ٩٤
المبحث الثالث: المقدمة الكبرى دلائلها، وأهم الشبهات المثارة حولها» ١٠٠
أولًا: دلائلها. ١٠٠

ثانيًا: الشبهات المثارة حولها. ١٠٢
الشبهة الأولى: مبدأ "السببية" يناقض فكرة الاعتراف بوجود الله..... ١٠٣
الشبهة الثانية: رد التنظيم إلى ما يعرف بـ "الأكوان المتعددة"..... ١٠٧
الشبهة الثالثة: رد التنظيم إلى التطور البيولوجي العشوائي ١١٢
الخاتمة ١٢١
المصادر والمراجع..... ١٢٢
فهرس الموضوعات..... ١٣٠

وبالله وفق التوفيق

تم بحمد الله